المكتبة الثقافية
٧١

الحكم والأمثال والنصائح
عند المصريين القدماء

محرم كمال

وزارة
الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة
المصرية
العامة
للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر

١٥ أكتوبر ١٩٦٢

المكتبة الثقافية

- أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة .
- تيسر لكل قارىء أن يقيم فى بيته مكتبة جامعة تحوى جميع ألوان المعرفة بأقلام أساتذة متخصصين وبقرشين لكل كتاب .
- تصدر مرتين كل شهر . فى أوله وفى منتصفه

الكتاب القادم

قرطبة

فى التاريخ الإسلامى

الدكتور جوده هلال

محمد محمود صبح

أول نوفمبر ١٩٦٢

دار القلم بالقاهرة

الثمن ٢ ص

المكتبة الثقافية
٧١

الحكم والأمثال والنصائح
عند المصريين القدماء

محرم كمال

وزارة
الثقافة والإرشاد القومي
المؤسسة
المصرية
العامة
للتأليف والترجمة
والطباعة والنشر

١٥ أكتوبر ١٩٦٢


الناشر
دار القلم
١٨ شارع سوق التوفيقية بالقاهرة
ت ٥٥٠٣٢ — ٧٧٧٤١

مقدمة

كان للمصريين القدماء أدب رفيع وآثار أدبية رائعة ، خلفوها لنا مسطورة على أوراق البردى وغيرها ، ولدينا من ذلك ذخيرة كبيرة حقا ، تناولها العلماء المحدثون بالترجمة والشرح والتعليق .

أدب القصة

فهناك أدب القصة ، نجده فى ذلك العدد الوافر من القصص، وفى بعضها يتحدث بطل كثير الأسفار عن مخاطراته، كقصة البحار الغريق ، وما تعرض له من أخطار فى جزيرة الثعابين الخرافية. وقصة « سنوهى » التى ذاعت شهرتها واستفاضت قرونا عدة ، وهى تصف هروبه من البلاد وقضاءه عشرات السنين بين رجال البدو السوريين ، وما ناله من حظوة هناك لدى زعيمهم الذى زوجه من ابنته الكبرى وأعطاه قطعة أرض من خير أملاكه . فلما أدركته الشيخوخة كان يتحرق شوقا للعودة إلى بلاده

مصر ، فكتب ملتمسا للملك بذلك لكى يسمح له بالعودة إلى مصر « ليرى المكان الذى يتجه قلبه إليه لأنه ليس هناك ما هو أعظم من أن يدفن جسد المرء فى البلد الذى ولد فيه » ، وقد تحققت أمنيته وعاد مكرما إلى بلاده .

ومن القصص البديع أيضا قصة الفلاح الفصيح ، الذى ظلم وسلب منه بعض متاعه،فقدم شكاوى تفيض بالفصاحة،يقول فيها :

« انظر ! إنك لرئيس وبيدك الميزان
فلا تدع الميزان يختل
وإن لسانك هو ذلك اللسان الصغير للميزان
وقلبك هو تلك الصنجة
وشفتاك هما قب الميزان
فإذا سترت وجهك عن الظالم
فمن ذا الذى يمكنه أن يرد العار

أنت تصنع العدل
وتصنع كل طيب وتبيد كل خبيث
أنت تجىء كالشبع ، وبمجيئك ينتهى الجوع
أنت تجىء كالثياب ، وبمجيئك ينتهى العرى

أنت كالسماء الهادئة بعد عاصفة هوجاء
تعطى الدفء لمن أصابه البرد
أنت كالماء تروى الظمأ »[١]

ولسنا نريد أن نتوسع فى الحديث عن أدب القصة ، فنذكر شيئا عن قصة الملك خوفو والسحرة ، أو قصة الأمير المنحوس ، أو قصة الأخوين « أنبو و باتا » فإن لذلك مجالا آخر .

الأدب التهذيبى : أدب الحكمة

وموضوع الحديث فى هذه الرسالة يتناول الأدب التهذيبى للمصريين القدماء ، وهو أدب الحكمة والموعظة الحسنة ، نريد أن نقدم منه للقارىء نماذج نبسطها فى إيجاز وفى إطار يهيىء لها الجو الذى كتبت فيه .

فهذه الحكم والأمثال تبدأ عادة بكلمة «سبويى» كعنوان لها . وهذه الكلمة المصرية القديمة معناها : «درس أو تعليم » ، ويقصد بها تعليم حكم الحياة وآداب السلوك ، وهى غالبا ماتكون نصائح موجهة من والد خبر الحياة ، وذاق حلوها ومرها ، يصوغ

(١) انظر : إرمان ـ مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ترجمة محرم كمال وعبد المنعم أبو بكر ، صفحة (٤١٣) .

تجاريب حياته التي اكتسبها بعد خبرة طويلة في عبارات بليغة موجزة ، ويسوقها إلى ابنه لكي يعمل بها ، وينسج على منوالها، حتى يحقق لنفسه النجاح والفلاح في حياته المستقبلة.

حكم كاجمنى

ولعل أقدمها هي حكم « كاجمنى » التي ضاع للأسف الجزء الكبير منها ، ولم يتبق منها إلا شذرات أوردناها في هذه الرسالة .

حكم بتاح حتب

بيد أن أقدم نص موجود في أدب العالم القديم كله عبر في قوة وبلاغة عن قواعد السلوك المستقيم هو حكم « بتاح حتب » ، وهي بما في مادتها من غزارة تلخص لنا مقدارا كبيرا من أدب ذلك العصر .

فإن « بتاح حتب » عندما شعر بتقدمه في السن أراد أن يعلم ابنه الحكمة ، وأن يعده للقيام بأعباء الواجبات الحكومية ، حتى يساعده في حياته ويخلفه في وظيفته بعد موته .

ونحن إذا قرأنا هذه الحكم واستوعبنا ما فيها لرأينا أن أكثر من نصفها يتحدث عن أخلاق الإنسان وسلوكه ، وما بقى

منها يتناول شؤون الإدارة وواجبات الإنسان فى وظيفته الرسمية . وإننا لواجدون أن الروح التى تسيطر على فلسفة نصائح ذلك الوزير المحنك هى شدة اهتمامه بالأخلاق والقيم الخلقية .

وأبرز مايلفت النظر فيها هذه العبارة البليغة :

«حصل الأخلاق وارع الحق واعمل على نشر العدالة ، وعامل الجميع بصدق» ، وهو يؤكد مرارا أن أعظم فضيلة دائمة يتحلى بها الإنسان فى الحياة هى العدالة والخلق العظيم ، لأنها باقية وذكراها لاتزول» .

وبذلك نرى أن المفكرين المصريين الاجتماعيين كانوا يجدون فى البحث عن المثل العليا للخلق العظيم .برزانة وتدبر ، وقد أدى بهم ذلك إلى تصورات سامية و نبيلة حقا .

تحذيرات « ايبوور » :

ولقد كان بين المصريين مفكرون اجتماعيون أحسوا بالحاجة إلى وجود حاكم عادل فى بعض عصورهم ، وساءهم ما وصلت إليه حالة البلاد من فوضى اجتماعية ، وتطلعوا إلى نهضة يتجدد بها المجتمع ، وترقبوا عصرا ذهبيا يأتى به الإصلاح المنشود . وذلك كله يتجلى فى تحذيرات « ايبوور »

التى تصف حالة ذلك العصر ، وتنتهى بالنصيحة والتحذير من الإهمال فى الأخذ بسبل الإصلاح .

وإننا لواجدون فى تلك التحذيرات صورا قاتمة تدل على عمق تأثر هذا الحكيم بما حل بالبلاد . انظر إلى قوله :

« ليت الناس يفنون ، فلا يحدث حمل ولا ولادة ، وليت البلاد تخلو من الغوغاء حتى يقضى على الشجار » .

وإلى قوله :

« ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت ، حتى كنت أنقذ نفسى من الألم الذى أنا فيه الآن ، فالويل لى ، لأن البؤس عم فى هذا الزمان » .

ولكنه مع ذلك لا ييأس ، وإنما يتطلع إلى المستقبل فى أمل وثقة ، ويسوق فى النهاية أهم فقرة فى مقاله ، وهى فقرة يعدها كثير من العلماء من أروع ما دون فى الأدب المصرى القديم كله ، لأنها تصور الحاكم العادل الذى لا يحمل فى قلبه شرا ، ويجول بين رعيته كالراعى يجمع شتات قطيعه المتناقص الظمآن . إذ يقول :

« إنه يطفىء لهيب (الحريق الاجتماعى) ويقال عنه إنه راعى

كل الناس ، ولا يحمل فى قلبه شرا ، وحينما تكون قطعانه قليلة العدد فإنه يصرف يومه فى جمع بعضها إلى بعض » .

نصائح « مرى كارع » :

ونحن نجد الحكمة والعقل الراجح أيضا فى تلك النصائح التى وجهها ملك أهناسى إلى ابنه المدعو « مرى كارع » ، كما تبرز فى هذه النصائح فطنة ذلك السياسى الكهل فى سياسة البلاد الداخلية بوجه خاص حينما يوصى باتباع سياسة المهادنة والتعاون فى معاملة أسر الأشراف ، ويوصى فى الوقت نفسه بالبحث عن الكفايات المغمورة ، وتكوين جيل جديد يمكن استخدامه ضد رجال الإقطاع القدامى .

كما أن التفكير العميق فى القيم الباطنة يتجلى فى تلك العبارة التى ساقها هذا الملك المسن لابنه ، وعدها بعض العلماء من أنبل ما جاء به التفكير الخلقى فى مصر القديمة ، وهى أن يستقر فى ذهن هذا الابن : « أن فضيلة الرجل المستقيم أحب (عند الله) من ثور الرجل الظالم (أى من قربان الرجل الظالم) » ، فنحن هنا نجد اعترافا صريحا بقيمة الحياة الصالحة

فى نظر الإله ، وهو الذى لا يقبل أن تقوم الهدايا عنده مقام الأخلاق .

وفى هذه النصائح أيضا تفكير عميق فى الحياة الآخرة ، وتذكير بالبعث ويوم الحساب ، وتشبيه لعمر الإنسان مهما طال بأنه يمضى وكأنه ساعة واحدة ، ثم يحاسب الإنسان عما أتاه من عمل ، فإن كان صالحا حسنت آخرته ودخل فى زمرة الخالدين الأبرار .

الحياة الآخرة ويوم الحساب :

وكما ورد ذكر الحياة الأخرى ويوم الحساب فى هذه النصائح ، فإن ذكرها قد ورد فى صورة واضحة فيما كان يقوم به للتوفى من إنكار لعدة خطايا فى يوم الحساب (١)

---

(١) كان المصريون القدماء يعتقدون أن الإنسان بعد موته يحاكم أمام محكمة مكونة من الإله أوزيريس رئيسا واثنين وأربعين قاضياً وتوضع أعماله ممثلة بالقلب فى كفة ميزان والعدل (الحق) مرموزا له بريشة فى الكفة الأخرى فإذا رجحت كفة الأعمال الصالحة وأثبت المتوفى براءته من الخطايا والسيئات ، وانتهت محاكمته أمام أوزيريس ، خرج من قاعة العدل ، ودخل مملكة أوزيريس واعتبر من الصالحين الأبرار ، الذين يستمتعون بما ادخرته لهم جنات النعيم من مباهج وأفراح وأنهار =

فهو يقول إنه :

« لم يرتكب أية خطيئة ضد الناس ، وإنه لم يفعل ما يمقته الإله ، وإنه لم يترك أحدا يتضور جوعا ، ولم يتسبب فى بكاء أى إنسان ، ولم يأمر بالقتل ، ولم يتسبب فى شقاء أى إنسان ، ولم يغتصب الطعام ، ولم يسرق ، ولم ينطق بالكذب ، ولم يغش ، ولم يسب ، ولم يتكبر ، ولم يرتكب الزنا .

وإنه لم يعذب الأرملة ، ولم يكذب أمام القضاة ، ولم يعرف الخيانة ، ولم يدنس الأشياء المقدسة ، ولم يسع فى ضرر العبد عند مولاه ، ولم يغتصب اللبن من أفواه الرضعاء .

وإنه طاهر طاهر طاهر» .

فهذا الإنكار[1] لكل هذه النقائص وغيرها يرينا إلى أى

= تجذف الأرواح فى مجاريها السماوية ، وتجلس على عروش وسط الآلهة ، الذين يلتفون حول الشجرة المقدسة ، على مقربة من بحيرة ساحة السلام ، تستنشق النسيم تحت وارف ظلال الأشجار الباسقة ، وتلعب الألعاب التى تهواها ، وتأكل خبزا لا يتعفن ، وتشرب خمراً لا يفسد فهنيئا لهم ، وتلك عقبى الصالحين

(١) يطلق عليه بعض العلماء « الاعتراف السلبي » وإن كنا نفضل هنا استعمال كلمة « الإنكار » أو التنصل فهى أدق من حيث المعنى .

حد كان المصرى حريصا على الابتعاد عن الرذائل أو التنصل منها على الأقل فى يوم الحساب ، ويرينا القيم الخلقية التى كان يدين بها المصرى ، وما يعتبره مثلا عليا يجب اتباعها ، ومنهاجا قويما لحسن السلوك فى الدنيا والآخرة .

ولا يقتصر أمر المتوفى عند تقدمه إلى المحاكمة فى يوم الحساب على مثل هذا الإنكار ، وإنما ينتقل إلى دور إيجابى فيقرر أمام الإله «أوزيريس» أنه :

« قد فعل ما يقول به الناس ، وأرضى الإله بما يرغب فيه ، وأعطى الجائع خبزا ، والصادى ماء ، والعريان لباسا ، وقدم قربانا مقدسا للإله ، وقربانا من الطعام للموتى » .

ثم هناك صورة هامة فى هذه المحاكمة فى يوم الحساب ، ألا وهى وزن أعمال المتوفى ووضعها فى ميزان يقام لهذا الغرض فمن رجحت كفته بما أتاه من عمل صالح دخل الجنة ، ومن اتضح سوء عمله وتوفر خطاياه ألقى به إلى حيوان فظيع « كان يأكل الأحشاء في يوم الحساب الكبير » .

إن نشأة الاعتقاد بأن النعيم فى جميع صوره يتوقف على ما للإنسان من الصفات الخلقية فى الحياة الدنيا تعد من الخطوات الهامة الخطيرة كما قال العالم « برستد » ، كما أن

الاعتراف بالحساب فى الآخرة وبحاجة الإنسان إلى قيم خلقية يتصف بها فى الحياة الآخرة يعد فى الواقع أمرا عظيم الأهمية، وهو نقطة تحول من الارتكان على العوامل الظاهرية الخارجة عن شخصية المتوفى، إلى الاعتماد على القيم النفسية الباطنة، وبذلك بزغ فجر عقيدة خلود الروح لأول مرة على عقول البشر، باعتبار الأبدية أمرا يحصل عليه الإنسان بالروح لا بالجثمان.

حكم « أمنموبى » :

لقد ورد فى « سفر الأمثال » تصوير عظيم للأخلاق السامية، فضلا عما احتواه من حكمة خلقية نافذة، ونحن إذا بحثنا أمر كتاب الأمثال لوجدناه مجرد مؤلفة جمعت من مجموعات متفرقة. ويقرر شيخ المؤرخين، العالم الأمريكى « برستد » Breasted أن :

« جميع العلماء بكتاب العهد القديم الذين يعتد بآرائهم وأبحاثهم فيه يجزمون الآن بأن محتويات ذلك الجزء الذى يؤلف نحو فصل ونصف فصل « كتاب الأمثال » قد أخذ معظمه بالنص عن حكم الحكيم المصرى القديم « أمنموبى » أى أن

النسخة العبرانية هى تقريبا ترجمة حرفية عن الأصل الميروغليفى العتيق . وكذلك صار من الواضح أيضا أن حكم « أمنموبى » شائعة فى مواضع عدة من كتاب العهد القديم ، حيث نراها مصدرا لتلك الأفكار والتشبيهات والمقاييس الخلقية ، وبخاصة لروح الشفقة الإنسانية الحارة ، لا فى كتاب الأمثال فحسب ، بل فى القوانين العبرانية وفى سفر « أيوب » وسفر شاءول وإرميا كذلك ».

فبينما تبدأ حكم « أمنموبى » هكذا :

« أمل أذنيك لتسمع أقوالى ، واعكف قلبك على فهمها ، لأنه شىء مفيد إذا وضعتها فى قلبك » .

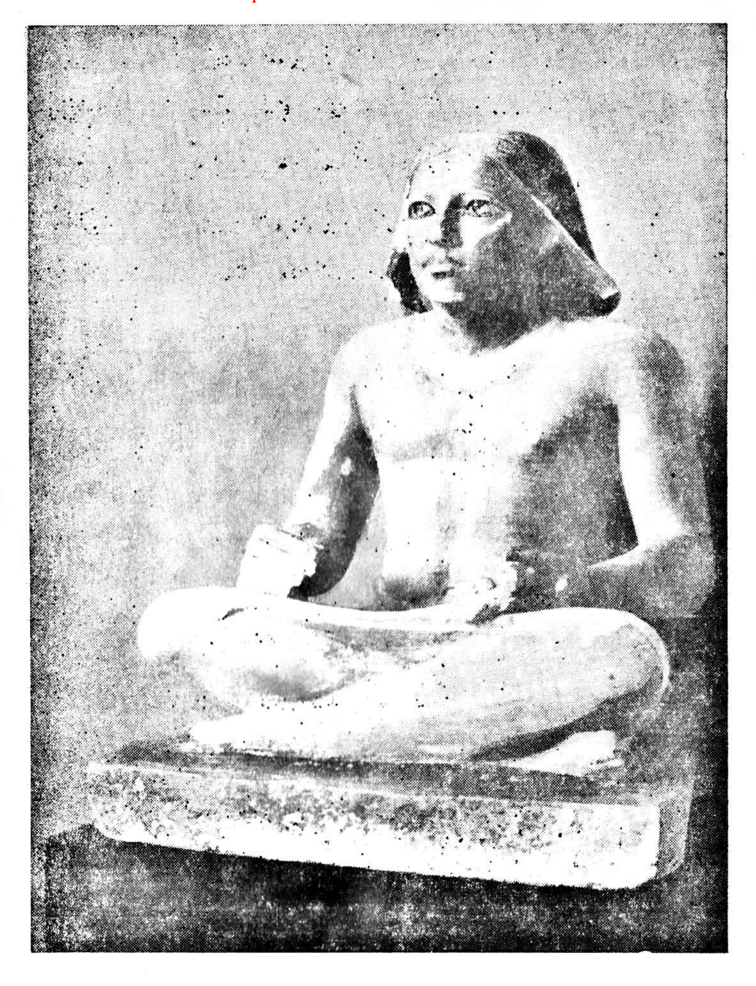
إذ تبدأ كلمات سفر الأمثال العبرانى كما يلى :

« أمل أذنك واسمع كلام الحكماء ، ووجه قلبك إلى معرفتى ، لأنه حسن إن حفظتها فى جوفك » (سفر الأمثال ٢٢ ، ١٧ — ١٨) .

ولسنا نريد المضى فى عقد هذه الموازنة فى مواضع أخرى ، فهى أكثر مما يمكن أن تتسع له صفحات هذا الكتيب جميعه ، ولكن النتيجة التى نصل إليها من كل هذا هى النتيجة التى وصل إليها الأستاذ « برستد » من أن :

« النتائج الأساسية التى قامت وستقوم عليها دعامة المبادىء الخلقية فى الحياة المتحضرة فى أيامنا ، كانت قد اهتدت إليها الحياة المصرية القديمة قبل الوقت الذى ابتدأ فيه العبرانيون تجاربهم فى فلسطين بزمن طويل ، كما كانت تلك المبادىء الخلقية المصرية موجودة فعلا فى فلسطين بصورة مدونة منذ قرون عدة حينما استوطنها العبرانيون » و « إنه يجب ألا يفوتنا أن تلك المشاعر الخلقية التى تسود المجتمع المتمدين الآن ترجع فى أصلها إلى عصر أقدم بكثير من « عصر النبوات » المعترف به من زمن بعيد ، وأنها قد انحدرت إلينا نحن أهل هذا العصر الحاضر من عهد لم تكن فيه الكتابات العبرانية قد وجدت بعد ، وعلى ذلك تكون مصادر تراثنا من التقاليد الخلقية بعيدة كل البعد عن انحصارها فى فلسطين وحدها ، وإنه يجب اعتبارها مشتملة كذلك على الحضارة المصرية » .

وبهذه الكلمات والعبارات نود أن نقدم لكتابنا هذا ، راجين أن يجد القارىء فيه لذة لنفسه ومتعة لروحه ، ورسالة صدق وحكمة يرسل بها بعض رجال الفكر المصريين القدامى إلى الجيل الحديث ، عبر آلاف من السنين مضت ، وحقبات من التاريخ انقضت .



تمثال بديع من الحجر الجيري الملون يمثل كاتبا متربعاً ، وعلى ركبتيه ملف منشور من البردى — صقارة ، الأسرة (٤) . (محفوظ بالمتحف المصرى)

حكم وأمثال
كاجمنى و"بتاح حتب"

س أقدم آثار مصر الأدبية الخالدة ، كتاب قديم كتبه الحكيم « بتاح حتب » فى عصر الملك « اسيسى » ، أحد ملوك الأسرة الخامسة (٢٦٧٠ ق. م تقريبا). يتضمن مجموعة كبيرة من الحكم والأمثال والنصائح التى كتبها الحكيم لابنه منذ نحو خمسة آلاف سنة . وهى تكفى لإعطائنا صورة واضحة عن حكمة مصر وآدابها ومثلها العليا فى ذلك العصر القديم .

بردية بريس Prisse :

وقد وجدت نسخة من هذا الكتاب مكتوبة على ورقة من البردى ، اشتراها عالم فرنسى يدعى « بريس » Prisse D'Avennes من أحد الفلاحين فى الأقصر ، وأهداها إلى المكتبة الأهلية بباريس عام ١٨٤٧ ، حيث ظلت محفوظة بها حتى الآن .

ويبدو أن النسخة المذكورة قد نقلت فى عصر الدولة الوسطى (الأسرة الثانية عشرة ؟) عن أصل قديم .

ويبلغ طول هذه الورقة نحو ثمانية أمتار ، وهى فى حالتها

الحاضرة تتألف من ثمانى عشرة صفحة ، مكتوبة كتابة واضحة ، بالقلمين الأسود والأحمر ، بالخط الهيراطيقى .

وهى تبدو ، للنظرة الأولى ، سليمة كاملة ، لخلوها من التشقق والتلف الذى يصيب الكثير من الأوراق البردية والمخطوطات ، ولكن الفحص الدقيق لمحتوياتها يظهر أن جزءا لا يعرف مقداره قد مُـزق من أولها .

وملف البردى كان يضم فى الأصل كتابين على الأقل ، لم يصل إلينا منهما إلا الجزء الأخير من أحدهما ، أما الآخر فهو كامل تماما .

وكتابة البردية واضحة ، يبدو فيها قدر كبير من العناية ، ولكنها ليست صحيحة دائما ، وكأنما الذى قام بنسخها قد نقلها عن نسخة رديئة الخط ، أو مختصرة اختصارا كبيرا ، مما جعله غير واثق دائما من تهجئة الكلمات .

الكتاب الأول :

تعاليم « كاجمنى »

وأول هذين الكتابين ، وهو الذى لم يتبق منه سوى الصفحتين الأخيرتين ، رسالة فى آداب السلوك ، سميناها هنا « تعاليم كاجمنى » .

ومنذ عثر على هذا الكتاب ، نسبت التعاليم التى فيه إلى

« كاجمنى » ، ولكن الفحص الدقيق لما تبقى منه يظهر لنا أنه لم يرد فى هذا الكتاب ما يدل على أن « كاجمنى » هو الذى قام بتأليفه . والسبب فى نسبته إلى « كاجمنى » أن هذا الاسم هو الاسم الوحيد الذى ورد ذكره فى ثنايا الكتاب ، مما دعا علماء الآثار المصرية إلى الظن بأنه مؤلف الكتاب .

ومن الصعب أن نعتقد أن الوزير — الذى لم يذكر اسمه فى الكتاب — والذى دعا أبناءه إليه هو « كاجمنى » ، إذ أنه لم يرفع إلى مرتبة الوزير وحاكم المدينة إلا بعد ذلك . وإنما الجائز هو أن « كاجمنى » كان أحد أبناء المؤلف .

بيد أنه لا توجد أهمية كبيرة لذلك ، مادام تاريخ كتابة الوثيقة قد حدد فيها بنهاية عصر الملك « حونى » من أواخر ملوك الأسرة الثالثة . ومن ثم فإن هذا الكتاب ، الذى يتحدث عن مجتمع حظه من الرقى والترف غير قليل ، يمكن أن يعد أقدم كتاب فى العالم كله .

تعاليم وأمثال « بتاح حتب »

وقد تركت فى الورقة البردية بعد ذلك مسافة بيضاء ، يبدأ بعدها الكتاب الثانى الذى يتضمن تعاليم وأمثال « بتاح حتب » ، ومن حسن الحظ أن هذه التعاليم وجدت كاملة لا ينقص منها شىء ، وقد قسمت إلى أجزاء بكتابة حمراء .

وفى هذه التعاليم أيضا نجد تاريخا محددا ، فقد جاء فى مقدمتها أن مؤلفها عاش فى عصر الملك «اسيسى» . ونحن نعلم أن « اسيسى » كان أحد ملوك الأسرة الخامسة (٢٦٧٠ ق. م. تقريبا) ، ومن ثم يكون قد مر على هذه التعاليم مايقرب من خمسة آلاف سنة .

ومن حسن الحظ أن نعثر على هذا الكتاب كاملا دون أن يعتوره نقص ، ومن أجل هذا فإننا نعده أقدم كتاب كامل فى الأدب وصل إلينا .

وبالرغم من أن بعض النصوص الدينية قد وصلت إلينا من هذا العصر ، إلا أنها لاتكشف لنا عن أحوال هذا العصر القديم كما تكشف لنا هذه التعاليم التى تتحدث عن أهداف عالية وتميط

اللثام عن صورة حية رائعة ، للحياة المنزلية والاجتماعية فى الدولة القديمة . فنقرأ فيها عن أدب الحديث ، وعن الغنى والفقر ، وعن التواضع والجد فى العمل وعن الزوجة التى يجب معاملتها برفق ، وعن الصراحة والعطف ، وعن الكرامة والبعد عن الأذى ، وعن الصمت والقناعة ، وعن الطاعة وحب الناس .

وهكذا تتوالى الصور أمام أعيننا ، فنجد أنفسنا تارة نتناول الغذاء على مائدة أحد الأشراف ، وقد التف الأضياف حولها ، لا يجرأون على رفع أعينهم عن الطعام ، ولا يتكلمون إلا إذا وجه الشريف إليهم الخطاب .

وتارة نكون فى قاعة مجلس اكتظ بالموظفين ، وسيطر على القاعة نظام دقيق ، والحاكم يقوم على رأسها ، يصغى إلى شكوى المظلوم ، ويرد إليه حقه المسلوب .

وتارة نجد أنفسنا وسط جماعة من الناس يقتسمون أرضا ، بعضهم يحاول الحصول على أكثر من نصيبه ، وعندما يعجز عن ذلك ينصرف غاضبا ، ولكنه سرعان ما يندم على ما فعله .

وهكذا تتالى الصور وتمضى ، كلها طريف ، وكلها ملىء بالحكمة والموعظة الحسنة .

من هما

« كاجمنى » و « بتاح حتب »

على أننا لا نعلم عن هذين الشريفين ـ اللذين ألفا هذه التعاليم ووضعا هذه الحكم والأمثال ـ شيئا مؤكدا .

ففى منف قبر لشخص يدعى « كاجمنى » ظنه بعض الناس أنه لصاحب هذه الحكم ، ولكن هذا الرأى غير صحيح ، لأن القبر المذكور لشخص لا يرجع تاريخه لأبعد من الأسرة الخامسة ، على حين أن «كاجمنى» صاحب تعاليمنا قد عاش فى عهد الأسرة الثالثة .

وهكذا الحال مع « بتاح حتب» . فإن فى صقارة مقابر لبعض أمراء يتسمون بهذا الاسم ، عاش اثنان منهم فى عهد الملك « إسيسى » ، ومن ثم فقد ظن البعض أن أحدهما لابد وأن يكون هو « بتاح حتب » صاحب هذه التعاليم .

بيد أننا إذا قارنا ألقاب كل منهما بما ورد من ألقاب فى التعاليم لا نجد تطابقا بينها ، فضلا عن أننا لا نجد فى هذه القبور ذكرا لأية حكم أو أمثال.

ولذلك فنحن لا نستطيع الجزم بصحة هذا الرأى أيضا أو نسبة هذه الحكم والأمثال لصاحب أحد هذين القبرين .

ولقد كان فى نيتى أن أتناول هذه الحكم والأمثال بالبحث والتحليل ، ولكن سرعان ما وجدت أن الأمر لا يقتضى شيئا من ذلك . لأن هذه الحكم والأمثال تسوق النصح فى قدر كبير من الوضوح والبساطة يغنى عن الشرح والتعليق .

وبذلك نستطيع ـ ونحن مطمئنون ـ ، أن نتركها تتكلم وتتحدث عن نفسها .

حكم وأمثال « بتاح حتب »

العنوان (فى النسخة القديمة)

«تعاليم حاكم المدينة ، الوزير بتاح حتب فى عصر ملك مصر العليا والسفلى «إسيسى» المستمتع بحياة خالدة أبدية » .

المقدمة (فى النسخة الحديثة)

هكذا قال ـ بتاح حتب ـ لجلالة الملك «إسيسى»

« لقد أقبلت الشيخوخة ، وبدا خرفها ، وسرت الآلام فى الأعضاء ، وتبدى الهرم وكأنه شىء جديد ، وذهبت القوة وحل محلها الضعف والهزال ، وصمت الفم وتوقف عن الكلام

وغارت العينان ، وأصبحت الآذان صماء ، وأمسى القلب كثير النسيان ، لا يذكر ماحدث بالأمس ، وغدت العظام تقاسى من تقدم السن ، وتوقف الأنف فأصبح ساكنا لا يتنفس(١)؛ وصار الوقوف والجلوس كلاهما شاقا ، وتحول الحسن إلى سيء ، ولم يبق لشيء أى طعم ؛ وتقدم السن جعل أحوال المرء سيئة فى كل شيء .

فمرنى حتى أتخذ لى سندا فى شيخوختى ، وحتى أجعل من ابنى خليفة لى ، يحتل مكانى ، فأعلمه عظات من يسمعون ، وآراء من سبقوا ، وهم الذين خدموا السلف فى العصور الماضية(٢) ، ليتهم يعملون لك مثل ذلك ، حتى يزول النزاع من بين الناس » .

فأجاب جلالته :

« علمه العظة أولا ، حتى يكون قدوة لأولاد العظماء ، ويتحلى بالطاعة ، ويدرك كل رأى صائب ممن يتحدث إليه ، فليس هناك ولد أوتى الفهم من تلقاء نفسه » .

---

(١) كان المصريون القدماء يعتبرون الأنف مصدرا من مصادر الحياة.

(٢) يقصد وزراء الملوك السابقين ، وهو يرجو بذلك أن يصبح ابنه مفيدا له كما كان الوزراء بالنسبة للملوك السابقين .

بدء الحكم والأمثال :

« هنا تبدأ أقوال الحكمة التى فاه بها الأمير ، الأب المقدس ، حبيب الإله ، ابن الملك الحق ، حاكم المدينة ، الوزير « بتاح حتب » ساقها لتثقيف الجاهل ، وليفقهه فى فنون الحكمة والقول الحسن . فلتكن مجدا وفخارا لمن يعمل بها ، وعارا وشنارا لمن يغفلها .

قال مخاطبا ابنه :

— لا تغتر بما حصلت عليه من العلم فتستكبر ، ولا تتجبرّ ، ولكن اجعل الأمر شورى مع الجميع . شاور الرجل غير المتعلم كالمتعلم ، لأنه ليس هناك حد للمعرفة ، ولا رجل وصل إلى نهاية العلم بفنه ، وإن القول الحكيم نادر وأكثر اختفاء من الحجر الأخضر الكريم ، ومع ذلك فقد يوجد مع الإماء اللواتى يعملن على أحجار الطواحين[1] .

— إذا وجدت رجلا يتكلم ، وكان أكبر منك وأشد حكمه ، فاصغ إليه واحن ظهرك أمامه (دليلا على الطاعة) ،

---

(١) يعنى بذلك أفقر الفقراء .

ولا تغضب إلا إذا تفوه بالسوء ، وعندئذ سيقول عنه الناس : « تبا له من جاهل » .

— إذا وجدت رجلا مساويا لك يتجادل ، وأثار حديث السوء فلا تسكت ، بل اظهر حكمتك وحسن أدبك ، فإن الكل سيثنون عليك ، وسيحسن ذكرك عند العظماء .

— إذا وجدت رجلا يتكلم ، وكان فقيرا أى ليس مساويا لك ، فلا تحتقره لأنه أقل منك ، بل دعه وشانه ، ولا تحرجه لتسر قلبك ، ولا تصب عليه جام غضبك . فإذا بدا لك أن تطيع أهواء قلبك فتظلمه ، فاقهر أهواءك ، لأن الظلم لا يتفق مع شيم الكرام .

— إذا كنت فى صحبة جماعة من الناس ، وكنت عليهم رئيسا ولشؤونهم متوليا ، فعاملهم معاملة حسنة حتى لا تلام ، وليكن مسلكك معهم لا يشوبه نقص . إن العدل عظيم ، طريقه سوية مستقيمة . هو ثابت غير متغير ، إنه لم يتغير منذ عصر الإله خالقه . من يخالف القوانين يعاقب ، ومن استحل حقوق الناس حراما ، أخذ الحرام معه الحلال وذهب . ما كان الشر يوما بموصل مقترفه إلى شاطىء الأمان . قد يحصل المرء على شىء من الثروة عن طريق الشر ، ولكن قوة الحق

تبقى ثابتة . إن حدود الحق واضحة ، والحلال بين والحرام بين ، والمرء يفعل ما تعلمه من أبيه .

— لاتنشر الرعب بين الناس ، فهذا أمر يعاقب عليه الرب. هناك من الناس من يقول : « هاهى الحياة قد أقبلت » فيمشى فى الأرض مرحا ويتكبر ويتجبر ، فيجازى بالحرمان من خبز فمه . وهناك من الناس من يقول : « هاهى سطوتى » ويخيل إليه أنه يستطيع أن يستولى على كل ما يخطر له بالباطل ، وبينما هو يتشدق بذلك تنزل به النازلة ، فلا يملك لها دفعاً ، ولا لنفسه نفعا . وهناك من يتحايل على الحصول على ماليس له ، ليقتنى بذلك ثروة تغنيه ، وليهيء لنفسه الأمن فى مستقبله ، ولكن المستقبل لا يهيئه أحد لنفسه ، لأنه بيد الرب . فما من شىء هيأه المرء لنفسه قد وقع ، وإنما يقع ما أمر به الرب . فعش إذن فى بيت الأمان والطمأنينة ، قانعا بحاضرك ، واثقا بمستقبلك ، فيأتى الناس إليك من كل فج عميق برزق لك من حيث لاتدرى ولا تحتسب .

— عندما تجلس إلى مائدة أحد الكبراء فخذ إذا أعطاك مما هو موجود أمامك ، ولاتنظر إلى ماوضع أمامه ، بل انظر إلى ما وضع أمامك أنت . ولاتصوب إليه نظراتك الكثيرة ،

لأن النفس (كا) تشمئز عندما يصطدم المرء بها . وغض من بصرك حتى يحييك ولا تتكلم إلا إذا حياك . اضحك عندما يضحك فإن هذا مما يبهج قلبه ويجعل ماتفعله مقبولا لديه لأن الإنسان لا يعلم مافى القلب(١) .

إذا جلس الرجل العظيم إلى الطعام فإن مسلكه وأعماله تجىء من وحى روحه فقد تمتد يده بالطعام إلى من يجلس بجواره وقد تتجاوزه إلى البعيد بوحى من الروح (كا) . والخبز يرزقه الرب لمن يشاء .

— إذا كنت مكلفا بأداء رسالة من أحد النبلاء إلى نبيل آخر ، فأدها كما أخذتها تماماً ، دون تحريف ولا تبديل . ولا تثر عداوة بكلماتك ، ولا تؤلب نبيلا على نبيل بقلب الحقائق وإلباس الباطل ثوب الحق . ولا تكن نماما ، فالنميمة تمجها النفس وتأباها الروح .

— إذا كنت مزارعا فاحصد نتاج حقلك ، وسيبارك لك الرب فيه ، ولا تملأ فمك على مائدة جارك(٢) .

(١) أى يجب أن يكون الإنسان حذراً متحفظا وهو فى حضرة الرجل العظيم إذ أن الإنسان لا يعرف طبائعه .

(٢) ربما كان المعنى . « لا تطمع فيما هو لجارك » .

لاتجعل الرجل الذى لا ولد له حسوداً ، ولا تنبذه وتجعله مغموماً محسورا لهذا السبب . فالأب صاحب الولد قد يعتريه الهم بالرغم من عظم مكانته ، وأم الأولاد كذلك نصيبها من راحة البال قليل ، والرب هو الذى يخلق الإنسان ويقدر له نصيبه فى الحياة .

— إذا كنت وضيعا فسر فى ركاب رجل عظيم حكيم فتكون أعمالك مباركة أمام الرب .

وإذا عرفت رجلا صغيراً ارتفع فصار عظيما ، فقدم له فروض التجلة والاحترام التى تتناسب مع المركز الذى وصل إليه .

— اسمع يابنى ، إن الثراء لا يأتى وحده ، إنه يفد على من يريده ويعمل له فإذا عملت له وسعيت وراءه ، فإن الرب ينيلك إياه .

أما إذا قعدت وتوانيت وتمسكت بأهداب الكسل والخمول فإن الرب لك بالمرصاد ، ينزل عليك غضبه وعقابه .

— إذا أصبحت عظيما بعد أن كنت وضيعا وصرت غنيا بعد أن كنت فقيرا فلا تنس ما كنت عليه فى الماضى ولا تفخر بثروتك وتستكبر فإنك لست بأحسن حالا من رفاقك الذين حل بهم الفقر .

— إذا كنت رجلا عاقلا فليكن لك ولد ، تقوم على تربيته وتنشئته ، فذلك شيء يسر الآلهة . فإذا اقتدى بك ونسج على منوالك ونظم من شؤونك ورعاها ، فاعمل له كل ما هو طيب ، لأنه ولدك ، وقطعة من نفسك وروحك . ولا تجعل قلبك يجافيه ، فإذا ركب رأسه ولم يأبه لقواعد السلوك فطغى وبغى ، وتكلم بالإفك والبهتان ، فقومه بالضرب حتى يعتدل شأنه ويستقيم قوله . وباعد بينه وبين رفقاء السوء حتى لا يفسد .

إما إذا تحدى قولك فاطرده لأنه ليس ابنك ، ولم يولد لك .

— إذا كنت فى مجلس ، فاعمل طبقا لما كلفت به أول يوم ولا تتغيب بل انتظر حتى يأتى دورك وعندئذ كن مستعدا للدخول دون دفع أو تزاحم فالمكان رحب وقاعة المجلس يسيطر عليها نظام دقيق ، وتسير أمورها وفق خطة محكمة . إنه هو الرب الذى يهب المرء مقعدا فيها يجزى به المستحقين ولا يناله المعتدون .

— إذا كنت بين جماعة من الناس ؛ فاجعل حب الناس هدفك ومنيتك ، ومبتغى قلبك وهواك . فيقول من يراك : « هذا هو رجل ناجح واتته الثروة فلأ قلده » ، فيحسن ذكرك وينبه ، دون أن تتكلم . ويعلو قدرك بين جيرانك ، ويكتمل

من أمرك ما ينقصه . أما من يسير على هواه فلا يكون نصيبه إلا الاحتقار وهوان الشأن ، وما هو يبالغ من حب الناس شيئا ، فيصبح قلبه مليئا بالبؤس ، وجسمه بغيضا ، ويغدو مرذولا عند المؤمنين بالرب . إن من اتبع هواه ضل ، وله من نفسه عدو مبين .

— كن صريحا ، ولا تخف من أعمالك شيئا . بل صارح بها رئيسك فى مجلسه حتى ولو كان يعلم بها ، فلا يضير المرء أن يقال له : « هذا شيء أعلمه » .

— إذا كنت زعيما على قوم ، فتصرف فى شؤونهم بما تقضى به قواعد القوانين والأنظمة ، ناظرا إلى ما يتأتى فى قابل الأيام ، عندما لا يفيد الكلام .

— إذا كنت حاكما ، فكن عطوفا مستأنيا عندما تصغى إلى شكوى مظلوم ولا تجعله يتردد فى أن يفضى إليك بدخيلة نفسه ؛ بل كن به رفيقا ولحاجته قاضيا ، ولظلمه مزيلا رافعا .

اجعله يسترسل فى كلامه على سجيته حتى تقضى له حاجته التى أتى من أجلها إليك . فإنه إذا تردد فى أن يفضى إليك بما يجيش فى صدره قيل : « إن القاضى يظلم من لا يستطيع

لظالمه دفئا » . بيد أن القلب الحانى العطوف ، يستمع ويصغى عن رغبة .

ـ إذا كنت تريد أن تكون موفور الكرامة فى أى منزل تدخله ـ سواء أكان منزل عظيم أم أخ أم صديق ـ فلا تقرب النساء ، فما من مكان دخله التعلق بهوى النساء إلا وفسد . ومن الحكمة أن تجنب نفسك مواطن الشطط والزلل ، ولا توردها موارد التهلكة . فإن آلافا من الرجال أهلكوا أنفسهم وعملوا على حتفهم من أجل تمتعهم بلذة عارضة تذهب كحلم فى لمح البصر .

إن الرجال ليفتتنون بأعضائهن البراقة ولكنها سرعان ما تصبح بعد ذلك مثل أحجار « هرست »[١] . والموت يأتى فى النهاية .

ـ إذا أردت أن تكون أعمالك حسنة مستطابة ، فكن بعيدا عن المساوىء والشرور ، وهدىء من طباعك ، وتجنب الشراهة ، لأن هذه رذيلة تقود إلى الهلاك ، فهى تفرق بين

(١) أى أن الأعضاء الوضاءة تجتذب الرجال وتفتنهم ، بيد أنها ، بعد اللذة القصيرة التى تمضى كلمح البصر ، تبدو وقد تغير لونها مثل حجر « هرست » الذى يعد رمزا للكرب والضيق والبلاء .

الآباء والأمهات ، والأخوة والأخوات ، وتبذر بذور الشقاق والكره بين الزوج وزوجته .

إنها حزمة تجتمع فيها كل أنواع السوء ، وجعبة تضم كل شيء مرذول .

أما الرجل العادل الذى يسير على صراط مستقيم فإنه يعيش طويلا ،ويحرز ثروة كبيرة ، على حين لا يجد الرجل الشره قبرا له. (كناية عن شدة الفقر ورقة الحال) .

— لا تكن شرها فى القسمة ، فلا تأخذ منها ما ليس لك ، ولا تطمع فيما هو لأقاربك ، والكلمة الطيبة اللينة خير من القوة وأجدى . والطمَّاع يخرج صفر اليدين من بين أقاربه وأخدانه ، لأنه حرم موهبة الكلام الرقيق . وأن القليل الذى يختلس يولد العداوة (حتى) عند صاحب الطبع اللين .

— إذا كنت رجلا عاقلا فاتخذ لك (فأسس لنفسك) بيتا وأحبب زوجتك وخذها بين ذراعيك . أشبع جوفها ، واكس جسدها . إن الدهان هو علاج أعضائها . أفرح قلبها طول حياتك ، لأن مثلها مثل الحقل الذى يعود بالخير الوفير على صاحبه .

لا تكن فظا لأن اللين يفلح معها أكثر من القوة ،

انتبه إلى ما ترغب فيه، وإلى ما تتجه نحوه رغبتها وتنظر عيناها واجلبه لها . وبهذا تستبقيها فى منزلك .

— أشبع خدمك الأجراء بما لديك ، مما أفاءه الرب عليك. فهذا واجبك ، ولو أنه من الصعب إرضاء الخادم الأجير. فواحد يقول إنه مسرف ولا يعرف الإنسان ماذا يتأتى منه فى قابل الأيام. وفى الغد يقول إنه قانع وباق حيث هو ، وعندما تطوق الخدم بفضلك وكرمك يأتون إليك ويقولون « نريد أن نذهب ونتركك » ، ألا فلتذهب الرحمة من مدينة يقيم فيها خدم خبثاء تعساء !

— أشبع أصدقاءك بما أفاء الرب عليك من خير وحظوة ، فالحكمة تقضى بذلك ، إذ ما من إنسان يعرف مصيره إذا فكر فى الغد . وإذا حل سوء الطالع بمن كان ذا حظوة فإن أصدقاءه هم الذين يقولون له . « مرحبا » ، فاستبق لذلك مودتهم لوقت الشدة الذى يتهدد الإنسان .

— لا تردد كلاما . قيل فى ساعة غضب ولا تصغ إليه ، لأنه خرج من بدن أحمته سورة الغضب . وإذا أعيد هذا الكلام عليك ، فلا تستمع إليه ، بل انظر إلى الأرض ولا تتكلم بشأنه ، فيخجل من هو أمامك ويعرف الحكمة . وإذا أمرت باقتراف

سرقة فعليك أن تتفادى الأمر ، لأن السرقة شنيعة طبقا للقانون.

— إذا كنت رجلا ذا شأن وجلست فى مجلس سيدك فثق أن السكوت خير وأجدى لك من الثرثرة فى الكلام ، ولا تتكلم إلا إذا كان لديك ما تريد أن تقوله حقا ، وحينذاك يجب عليك أن تكون « فنانا » ، لأن الكلام أصعب من أى عمل آخر .

— إذا كنت ذا بطش وسلطان ، فدعهم يوقرونك من أجل علمك ورقة حاشيتك . ولا تصمت ، ولكن حذار من أن تقاطع أحدا وهو يتكلم ، وإياك أن تجيب وأنت فى فورة غضب .

— إذا كان أمير منهمكا فى عمل فلا تثر ما يعوقه ، ولا تغضب قلبا مثقلا بالهموم . إنه لينصرف عمن يعطله ، ولكنه يفضى بدخيلة نفسه إلى من يحبه . إن تآلف الأرواح هو من الرب الذى يحب خلقه . انطلق إذن بعد شجار مرير وتصاف مع من كان لك خصما . فمثل هذه الأحاسيس هى التى تقوى الحب .

— إذا كنت أستاذا ومربيا تقوم على تعليم ابن أحد النبلاء، فعلمه الأشياء التى تعود عليه بالنفع ودعه يختلط بالناس ويقر بالفضل لأستاذه ، إذ أن رزقك يأتيك منه ، فأنت من خيره تشبع بطنك وتكسو ظهرك ، ودعه يحبك حتى يعمر بيتك

ويعلو شرفك . ولسوف يمد يده فى رفق إليك ويعطيك فترضى ، ولسوف يغرس حبك فى قلوب أصدقائك .

— إذا كنت ابن أحد رجال الكهنوت، ورسول سلام بين جموع الناس ، فتكلم دون أن تحابى طرفا ، ولا تجعلهم يقولون : « إن شأنه شأن النبلاء ، يحابى طرفا فى كلامه » . وليكن هدفك إصدار أحكام دقيقة .

— إذا كنت قد تسامحت فى سابق الأيام فصفحت عن شخص بغية هدايته ، فدعه وشأنه ، ولا تذكره بفضلك فى الغد .

— إذا صرت رجلا عظيما ، وكنت فى وقت من الأوقات صغيرا ، وإذا صرت غنيا ، وكنت فى وقت من الأوقات فقيرا ، فلا تتكبر لأنك بلغت هذه المرتبة العالية ، فما أنت سوى قيم على الحسنات التى أعطاها الرب لك . ولست أنت الأخير ، فسرعان ما يبلغ سواك المرتبة التى بلغتها فيكون مساويا لك ، يأتيه من الثروة والجاه ما أتاك .

— انحن أمام رئيسك ، أمام المشرف عليك فى شؤون الإدارة الملكية ، حتى يظل بيتك مفتوحا ، ويستمر رزقك ومرتبك جاريا ، ولا تعصه ، فإن عصيان من بيده السلطة حماقة وشر مستطير .

لا تسلب منازل المزارعين ، ولا تسرق أشياء صديق حتى لايتهمك فى مواجهتك فينقبض قلبك ، وإذا علم بأمرك فإنه لن يتوان عن أذاك وضررك .

— ما أحمق الخصام بدل الصداقة .

— إذا كنت تبحث عن أخلاق صديق فلا تسأل أقرانه عنها ، ولكن اختلط به واقض وقتا معه حتى تختبر أحواله . تناقش معه بعدزمن ، وامتحن قلبه فى معرض كلام . فإذا كشف لك عن ماضى حياته فقد هيأ لك الفرصة إما لكى تخجل منه أو لكى تكون له صديقا . ولا تكن متحفظا عندما يبدأ الحديث ، ولا تجبه بخشونه ، ولا تتركه ، ولا تقاطعه حتى ينتهى من حديثه ، فقد تستفيد مما يقول .

أما إذا أفشى شيئا يكون قد رآه أو فعل شيئا يغضبك ، فكن حذرا حتى فى إجاباتك .

— كن سمح الوجه وضاح الجبين مشرق الطلعة مادمت حيا ، ولاتحزن على مافات ، والمرء يذكر بأعماله بعد موته .

— اعرف جيدا من يعاملك من التجار ، فإنه إذا ساءت حالك فإن شهرتك الحسنة بين أصدقائك ستكون لك ذخيرة . إنها خير من الألقاب ومن الغنى . فالغنى يزول ، وينتقل من

شخص إلى شخص ، والذكرى الحسنة باقية للمرء مفخرة له . إن الخلق الحسن يبقى شيئا مذكورا.

— ألا فلتعلم أن الرذيلة يجب أن تمحق ، حتى يتأتى للفضيلة أن تعيش وتبقى .

— إذا اتخذت امرأة[1] مهذبة مثقفة يفيض قلبها بالمرح ويعرفها أهل بلدتها فترفق بها ولا تطردها بل أعطها ما تأكل منه حتى يكتنز جسمها من الطعام .

خاتمة :

[وتلى ذلك خاتمة تمتدح ما فى هذه التعاليم من فوائد ، ينبغى أن يتناقلها الخلف عن السلف ، جيلا بعد جيل ، للانتفاع بما فيها من موعظة حسنة ، وقول حكيم] .

— فإذا استمعت إلى ما سردته عليك ، فإن منزلتك سوف تسمو وترتفع ، كما ارتفعت منزلة الأجداد الذين ذهبوا فى العصور السالفة وخلفوا من الحق كل جليل ، وغدت ذكراهم خالدة لا تفنى ولا تزول فى أفواه الناس ، لأن حكمتهم كانت عظيمة ، وكل كلمة من أمثالهم ستبقى كشىء خالد فى هذه

(١) زوجة أو رفيقة .

البلاد ، يقتبس منها الأمراء ـ حين يتكلمون ـ ما تتحلى به أقوالهم وتزدان .

إن حكمى وأمثالى ستعلم المرء كيف يتكلم ، بعد أن يسمعها ويعيها ، فيصبح عبقريا فى كلامه ، وفى سمعه وطاعته ، وسيكون التوفيق من نصيبه ، وسيعلو شأنه وينبه ذكره ، وتسمو مرتبته ويصل إلى أعلى عليين ، وسيظل فاضلا كريما حتى آخر حياته ، يملأ الرضا نفسه ، وسوف يهديه علمه إلى مكان الأمان ، لكى يعيش فى طمأنينة وسعادة على وجه الأرض . وسوف يكون العالم راضيا بما أوتيه من علم ، أما الأمير فإن قلبه سيكون سعيدا ، ولسانه مستقيما . لأن هذه الحكم والأمثال ستنطق شفتيه ، وتفتح عينيه ، وتُسمع أذنيه ، وتوقفه على كل ما هو مفيد لابنه حتى ينصلح حاله ، ويستقيم أمره .

ـــ ما أجمل طاعة الابن المطيع ، يأتى ويستمع مطيعا : إنه عبقرى فى سمعه ، عبقرى فى كلامه ، ذلك الذى يطيع كل ما هو نبيل ، وطاعة المطيع شىء نبيل .

إن الطاعة هى خير ما فى الوجود ، إنها تكوّن الرغبة الحسنة ، وما أطيب أن يأخذ الابن عن أبيه ما أوصلته إليه شيخوخة .

إن ما يريده الرب هو الطاعة ، أما العصيان فهو بغيض إلى الرب .

حقا إن القلب هو الذى يجعل صاحبه يطيع أو يعصى ، لأن حياة المرء الصحيحة الحقة هى وحى قلبه .

إن من يطيع يطاع .

كم هو جميل أن يطيع المرء أباه ، فيصبح أبوه من ذلك فى فرح عظيم وأنس مقيم . ويغدو هذا الابن رقيقا لينا عندما يكون سيدا ، وكل من يستمع إليه يطيعه ، فيصح جسمه ، ويوقره أبوه ، وتكون ذكراه خالدة فى أفواه الأحياء الذين يعيشون على الأرض ما داموا أحياء .

— دع الابن يتقبل كلام أبيه ، وعلم ابنك على هذا المنوال ، لأن المطيع هو رجل كامل فى نظر الأمراء . فإذا تقبل كلامك بقبول حسن وتنبه وأطاع فإن ابنك يكون حكيما وتكون أعماله موفقة . أما الإهمال فيفضى إلى العصيان ، والغبي يجب أن يسحق .

— أما الغبي الجاهل فهو لا يطيع ولا يعمل شيئا ، فالعلم والجهل عنده سيان ، ويستوى عنده النافع والضار ، وهو يقترف الأخطاء فيأتيه اللوم كل يوم . وهو يعيش كالميت ،

والكل يعرض عنه بسبب ما يقع عليه من جزاء كل يوم .

— والابن الذى يسمع ويطيع هو كأحد أتباع حوريس[1] . يبلغ سن الشيخوخة ويصل إلى أعلى مراتب الشرف والتقدير وهو يردد على أبنائه وبناته نصائح والده وتعاليمه حتى تظل خالدة متجددة ، ينقلها كل أب إلى أبنائه ، جيلا بعد جيل .

وإياك أن تتناولها بالتحريف ، فلا تحذف منها كلمة ، ولا تضف إليها شيئا ، ولا تضع كلمة مكان أخرى[2] .

كن حذرا فى الكلام حين يستمع إليك رجل عالم ، واحرص على أن تعلو سمعتك فى أفواه من يسمعك ، وإذا دخلت فى أمر كخبير فلا تجعل شفتيك تنطقان إلا بما هو حق ، حتى يكون مسلكك حسنا .

— مهما يكن قلبك مليئا يفيض بما فيه من شجون ، فحذار أن يتكلم فمك ، وليكن مسلكك متزنا عندما تكون بين النبلاء ، ولبقا أمام سيدك ومولاك ، ولتفعل كل ما يأمر به .

---

(١) أتباع حوريس هم طائفة من الحكام الأسطوريين الذين حكموا مصر بعد حوريس وقبل الأسرات .

(٢) أى لا تغير شيئا من هذه التعاليم والحكم ، وهو تحذير لم يحفظ هذا الكتاب من التحوير والتبديل .

اشحذ لبك (حرفيا : قلبك) حين تتكلم حتى تأتى بكلام يقول عنه النبلاء الذين يصغون إليه : « ما أجمل ما يخرج من فمه » .

— نفذ وصية سيدك ومولاك التى أوصاك بها ، فما أجمل نصيحة الأب لابنه الذى أنجبه . حقا إن الابن النجيب هبة من الرب . فهو يعمل أكثر مما يؤمر به ، ويفعل الخير ، ويضع قلبه فى كل أعماله .

فإذا وصلت إلى مركزى وقدرت ما أوصيتك به ، فسيكون جسمك سليما معافى ، وسيسر الملك بكل ما تعمل ، وستبلغ من العمر مالا يقل عما بلغت من سنوات أمضيتها على الأرض ، فقد بلغت العاشرة بعد المائة ، وأغدق علىّ الملك من وفير نعمائه ما يفوق آلاءه على أجدادى ، لأنى أقمت الحق والعدل للملك حتى شيخوختى » .

« لقد انتهى »

« من بدئه حتى نهايته »

« كما وجد فى الكتابات القديمة »[1]

(١) هذه هى العبارة التقليدية التى تختتم بها النسخ المنقولة عن كتب قديمة ، وهى بمثابة خاتمة الكتاب .

حكم « كاجمنى »

وردت مع حكم « بتاح حتب » فى البردية السابقة (أى بردية بريس المحفوظة الآن فى باريس) . والجزء الأول منها مفقود – كما سبق القول – وربما كان يتضمن أن أحد ملوك الأسرة الثالثة ، وهو الملك « حونى » قد أمر وزيره بأن يسجل تجاريب حياته وخلاصة خبرته فى كتاب يستفيد منه أبناؤه ، ومن بينهم « كاجمنى » الذى أصبح وزيرا فيما بعد .

تعاليم « كاجمنى »

فى الفطنة والحذر فى الحديث :

١ – والمتواضع الحذر يحالفه النجاح ويظل سليما معافى ، ومن يتخذ الاستقامة أساسا لعمله يمتدحه الناس . والباب مفتوح للمتواضع . ومن يكون حذرا وفطنا فى الحديث يجد مكانا رحبا ولكن السكين تشحذ لمن يحيد عن الطريق المستقيم .

آداب المائدة :

٢ – إذا جلست مع أشخاص كثيرين فاصطنع كراهية الطعام ، حتى ولو كنت شديد الرغبة فيه . إن الأمر لا يستلزم

وقتا طويلا لضبط النفس . وإنه لمن المشين أن تكون نهما .
إن قدحا من الماء يروى الظمأ . إن طبقا بسيطا جيدا يكفيك ، بدلا من طبق فاخر ، فالقليل يغنى عن الكثير .
تعسٌ هو الرجل الشره من أجل جسده .

٣ — إذا جلست مع شخص شره فلا تأكل إلا بعد أن يفرغ من وجبته .
وإذا جلست مع سكير فلا تتناول شيئا إلا بعد أن يشبع رغبته .
وإذا أعطاك شيئا فخذه ولا ترفضه فإن ذلك يريحه .

حسن المعاشرة :

٤ — إذا كان المرء غير مألوف العشرة ، فما من قول يفيد فيه ، إنه يقطب وجهه أمام المرحين الذين يحسنون إليه .
وهو نكبة على أمه وأصدقائه ، وكل الناس تقول عنه إن فمه لا يستطيع الكلام عندما يخاطبه أحد .

تجنب الزهو :

٥ — لا تفاخر وتزهو بقوتك بين من هم فى سنك ، واحذر النزاع والشقاق ، فالمرء لا يعلم ما يحدث عندما ينزل الله العقاب .

الخاتمة :

ثم نادى الوزير أولاده بعد أن انتهى من مقاله عن قواعد سلوك بنى الإنسان وأحوالهم كما عرفها بنفسه ، وقال لهم :
«أصغوا وعوا كل ما أوردته فى هذا الكتاب طبقاً لما قلته» .
وعندئذ خروا سجودا على بطونهم ، وقرأوه طبقاً لما هو مكتوب ، وكان فى قلوبهم أحسن من أى شىء آخر فى البلاد كلها ، وقاموا وقعدوا متبعين ما جاء فيه[1] وعندما وافى جلالة الملك «حونى» الأجل ، واعتلى جلالة الملك «سنفرو» عرش البلاد .
عين «كاجمنى» محافظا للعاصمة ووزيرا .

(١) أى أنهم ساروا ونظموا حياتهم حسب تعاليمه .

أقوال الحكيم ايبوور

وهى مسطورة على ورقة بردية محفوظة فى ليدن ، وقد فقد الجزء الأول منها ، وكذلك الجزء الأخير ، ولذلك فإن تسلسل الحوادث التى دعت الحكيم إلى كتابة حكمه وأقواله تعد مفقودة بالنسبة إلينا . وقد أدى ذلك إلى أن بعض العلماء حاول ملء بعض الفجوات بطريقة اجتهادية ، ومن ثم فإن النص الذى نذكره هنا لا يعد مؤكدا بصفة قاطعة .

ويبدو أنه قد انتابت البلاد فى عصر من عصورها القديمة كارثة — اجتماعية وسياسية — ثار فيها الشعب على الحكام وعلى من بيدهم الأمر ، كما ثارت الجنود المرتزقة وهدد الأسيويون الحدود الشرقية للبلاد ، وبذلك اختل نظام الحكومة تماماً فى مصر ، على حين ظل الملك قابعا فى قصره ، يشمله هدوء غريب وتنساق إليه الأكاذيب فيصدقها ولا يحرك ساكنا . وعندئذ يظهر على مسرح الحوادث حكيم اسمه « إيبوور » ربما كان من موظفى الخزانة الذين يعملون فى الدلتا ، ويبدو أنه وفد على العاصمة بنفسه ليقدم تقريراً للبلاط عن حالة البلاد المالية . وما من شك فى أن الكارثة لم تكن مقصورة على الدلتا ، وإنما

تعدتها إلى الوجه القبلى أيضا كما يبدو من سياق أقواله .

وفى هذه الأقوال تصوير بليغ رائع لما وصلت إليه مصر فى ذلك العهد من فوضى وفساد ، وحض للناس على أن يهبوا للدفاع عن البلاد ضد أعدائها ، وتذكير لهم بالعودة إلى عبادة الآلهة ، واستطراد لتوجيه النذر فى شجاعة وإقدام إلى فرعون .

ويبدو أن هذه النذر موجهة إلى الملك بيبى الثانى (الأسرة السادسة ، حوالى عام ٢٥٠٠ ق . م) الذى طال حكمه إلى ما يقرب من أربعة وتسعين عاما ، وتسبب ضعفه الذى يرجع إلى شيخوخته وكبر سنه فى تلك النهاية السيئة للعصر الزاهر للدولة القديمة .

أقوال الحكيم « إيبو ور » :

هذه الأقوال تتألف من قول منثور ، ومن ست قصائد شعرية فيها جوهر الموضوع نفسه . وهى تبدأ بوصف ماحل بالبلاد من فساد . فيقول . « إن حراس الأبواب يقولون : دعنا نذهب لننهب ، والغسال يرفض أن يحمل حمله ، وصيادو الطيور استعدوا للقتال ، وآخرون من الدلتا حملوا الدروع ، ومن يزاولون أهدأ الحرف كصانعى الحلوى والجعة ثاروا ، وصار

المرء ينظر لابنه كما ينظر لعدو ، وأصبح الرجل الفاضل فى حزن وأسى لما أصاب البلاد ، وغدا الأجانب مصريين فى كل مكان[1] .

القصيدة الأولى :

[فيها وصف لما حاق بالبلاد من فساد ، فالسرقة قد تفشت، والقتل والخراب والجوع قد عمّ ، والكارثة تنشر ظلالها الكئيبة على أرجاء البلاد .

[وكل بيت من هذه القصيدة يبدأ بكلمتين هما : «حقاً لقد» يقول الحكيم :] .

« حقا لقد شحب الوجه ، وقد تنبأ بذلك الأجداد
حقا لقد امتلأت البلاد بالأحزاب والعصابات وأصبح المرء يذهب ليحرث ومعه درعه .
حقا لقد شحب الوجه ، وحامل القوس أصبح مستعدا ، والأشرار منتشرون فى كل مكان ، ولا يوجد رجل من رجال أمس .[2]

---

(١) يعنى بذلك أن الأجانب الذين يعيشون في مصر قد اقحموا أنفسهم فى شؤون المصريين منتهزين فرصة هذا الانقلاب العام .
(٢) أى رجل ممن كانوا من ذوى المقامات بالأمس .

حقا إن من ينهبون انتشروا فى كل مكان .

حقا إن النيل يأتى بالفيضان ، ولكن ما من أحد يحرث ، لأن كل إنسان يقول : « إننا لا نعرف ماذا حدث فى البلاد » (١)

حقا لقد غدت النساء عاقرات . ليت الناس يفنون فلا يحدث حمل ولا ولادة ، وليت الإله خنوم لا يشكل الناس بسبب ما أصاب البلاد .

حقا إن القلوب قد ثارت ، والوباء قد انتشر ، والدم قد سال فى كل مكان .

حقا لقد أصبح النهر قبرا لرجال كثيرين دفنوا فيه .

حقا إن الأرض تدور كعجلة الفخارى ، واللص أصبح صاحب ثروة .

حقا إن النهر قد امتلأ بالدم فأصبح الرجل يعاف الشرب منه.

حقا إن البلاد قد أصابها الدمار ،وأصبح الوجه القبلى خاويا.

حقا إن أولئك الذين كانوا يرفلون فى الثياب غدوا فى أسمال بالية ، وأصبحت نساء الطبقة الراقية يهمن فى البلاد ، وغدت سيدات البيوت يقلن : « أما من شىء نأكله »

---

(١) يعنى أنه ما من أحد يطمئن فى هذه الأوقات المضطربة إلى أن يزرع أو يفلح .

حقا لقد أصبح العظيم والحقير يقول : «ليتنى أموت» ، والأطفال الصغار يقولون «ليتنا لم نولد»

حقا إن الغلال قد انعدمت فى كل مكان . وكذلك الملابس والعطر والزيت ، ولم يبق أى شىء فى المخازن .

إن الأسى يملأ قلبي ، ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت حتى كنت أنقذ نفسى من الألم الذى يعتصرنى الآن[1] ، فالويل لى ، لأن البؤس عم فى هذا الزمان .

القصيدة الثانية :

أما القصيدة الثانية ففيها تصوير لمصائب عدة تفوق فى هولها ما سبق وصفه فى القصيدة الأولى .

القصيدتان الثالثة والرابعة :

لم يبق منهما إلا القليل ، وأهم فقراتهما :

« إن الدلتا تبكى ، ومخازن الملك أصبحت مشاعة للجميع ، والقصر لا يحصل على الضرائب المستحقة له من شعير أو قمح أو طير أو سمك ، بالرغم مما يستحق له من قماش أبيض وكتان رقيق ونحاس وزيت وحصير وسجاد وما عداها من المستحقات الجيدة » .

---

(١) ربما يعنى أنه يأسف لأنه لم يجىء قبل ذلك .

القصيدة الخامسة :

[تتضمن مقدمتها حديثا عن عبادة الآلهة ، وكيف كانت تعبد فيما مضى ، وكيف يجب أن تعبد فى المستقبل . وتبدأ أبياتها بكلمة : « تذكر » . وقد ورد فى هذه القصيدة :]

« تذكر ! كيف يُنفح بالطيب والبخور ، وكيف يقدم الماء من إبريق فى بكرة الصباح .

تذكر ! كيف يحضر الأوز السمين ، ويقدم هو والبط والقرابين المقدسة للآلهة .

تذكر ! كيف يمضغ النطرون (ليطهر الكاهن فمه) ويجهز العيش الأبيض .

تذكر ! كيف تقام أعمدة الأعلام وتنقش أحجار القربان ويطهر الكاهن المعابد ، ويبيض بيت الله كاللبن ، ويعطر الأفق (أى المعبد) ، ويخلد خبز القربان .

تذكر ! كيف تراعى القواعد وتنظم أيام الشهر .

تذكر ! كيف تنحر الثيران ، ويوضع الأوز على النار ويقدم قربانا .

[ويلى ذلك جزء كبير غامض تعتوره بعض الفجوات الكثيرة . وأهم ما هو ظاهر فيه ما يلى عن الحاكم العادل :]

« إنه يطفىء لهيب (الحريق الاجتماعى) ويقال عنه إنه راعى كل الناس ، ولا يحمل فى قلبه شرا ، وحينما تكون قطعانه قليلة العدد فإنه يصرف يومه فى جمع بعضها إلى بعض .

فأين هو اليوم ؟ هل هو بطريق الصدفة ينام ؟

[ثم يستطرد الحكيم إلى بيت القصيد ، وهو توجيه النذر إلى الملك نفسه ، فيقول :]

« لديك الحكمة والبصيرة والعدالة ، ولكنك تترك الفساد ينتشر فى البلاد ، والمعارك يستعر أوارها ، والواحد يضرب الآخر ، لقد كذبوا عليك ، فالبلاد تشتعل كالقش الملتهب ، والناس على شفا الهلاك .... وهذه السنوات كلها سنوات حرب أهلية » .

القصيدة السادسة :

[وفيها وصف للوقت السعيد الذى يدخره المستقبل] .

« على أنه من الخير أن تسير السفن متجهة إلى الجنوب .

على أنه من الخير أن تبنى أيدى الرجال الأهرام وتحفر البرك ، وتقيم للآلهة مزارع فيها أشجار .

على أنه من الخير أن يبدو الفرح فى أفواه الناس .

على أنه من الخير أن تكون الأسرة وثيرة ، ومساند رؤوس العظماء تحميها التمائم ، ويهيأ لكل إنسان سرير خلف باب مغلق ، فلا يحتاج إلى النوم فى الأعشاب » .



تعاليم خيتى بن دواوف لابنه "بيبى"

ظلت هذه التعاليم زمنا طويلا تعرف باسم تعاليم « دواوف » إلى أن ظهر أخيراً أن اسم كاتبها هو «خيتى» بن «دواوف» وأنه كتبها لابنه المدعو «بيبى» .

هذه التعاليم كانت شائعة فى مدارس الدولة الحديثة ، يتخذها طلاب المدارس تمارين يتناقلونها ، وبخاصة فى الأسرة التاسعة عشرة (حول ١٣٠٠ ق.م) .

وقد عثر على أجزاء منها مكتوبة على قطع من اللخاف (الأستراكا) . ووجدت كاملة فى بردیتى ساليبه Sallier وأنسطاسى Anastasi المحفوظتين بالمتحف البريطانى .

والنسخ التى وصلت إلينا من هذه التعاليم مليئة بالأخطاء ، مما يدل على أن الطلبة الذين نقلوها كانوا فى كثير من الأحيان لا يفهمون معنى ما ينقلونه منها ، مما جعل ترجمتها أمراً لا يخلو من الصعوبة .

ويبدو من أسماء الأعلام الواردة فى هذه التعاليم ، أن تاريخها يرجع إلى العصر الممتد بين الدولتين القديمة والوسطى .

تعاليم «خيتي» بن «دواوف» :

« تعاليم ألفها شخص يدعى « خيتى » بن « دواوف » لابنه المسمى « بيبي » عندما سافر إلى العاصمة ليلحق ابنه بمدرسة الكتب ، بين أولاد الحكام » لقد قال له : « إنى قد رأيت من مُضرب ، فعليك أن توجه قلبك للكتب . إنى قد رأيت من أطلق من الأعمال الشاقة ، فانظر ، فلاشىء يعلو على الكتب[1].

وأنت إذا قرأت فى خاتمة كتاب « كمت »[2] فإنك لواجد فيه هذه العبارة : « إن الكاتب ينفسح أمامه كل مجال فى العاصمة ولن يعانى فيها فقراً . والرجل الذى يسير وراء رأى غيره لا يصيب نجاحا[3] .

ليتنى أستطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك ، وليتنى أستطيع أن أريك جمالها . إنها أعظم من أى شىء آخر إن الطالب إذا بدأ فى طريق النجاح ، فإن الناس تعلى من شانه

---

(١) المعنى أن الإنسان غير المتعلم تكون حياته كلها ضربا ، على حين أن المتعلم لا يحتاج إلى أن يجهد نفسه فى أى عمل شاق .

(٢) لعله اسم كتاب قديم .

(٣) قد يكون المعنى المقصود أن كل منصب يشغله الكاتب يكون له صلة بالبلاط ومن ثم يكون للكاتب نصيبه فى الأرزاق التى تجرى فيه .

ويوفد لتنفيذ الأوامر ولا يعود إلى المنزل ليرتدى مئزر العمل[١].

إننى لم أر نحاتا كلف برسالة ، ولا صائغا أرسل فى مهمة .

ولكنى رأيت صانع المعادن يعمل عند فوهة موقده وأصابعه متيبسة مجعدة مثل جلد التمساح ، ورائحته أنتن من رائحة فضلات السمك .

وكل صانع يقبض على الأزميل يصيبه من الإعياء أكثر مما يصيب من يفلح الأرض . لأن حقله هو الخشب وفأسه هو المعدن[٢] . وحين يحل الليل ويطلق سراحه يعمل على ضوء السراج أكثر مما يطيق ذراعاه[٣] .

والبنّاء يعمل فى كل صلب من الأحجار ، وعندما ينتهى منه تكون قد تكسرت ذراعاه وانهدت قواه ، فإذا ما جلس عند الغسق يكون فخذاه وظهره قد تحطمت .

والحلاق يظل يحلق إل وقت متأخر من المساء ؛ وهو ينتقل من شارع إلى شارع باحثا عمن يحلق له ، وهو ينهك ذراعيه

---

(١) المئزر هنا معناه الثوب الذى يرتديه العامل وصاحب اية حرفة أخرى .

(٢) أى الأزميل .

(٣) أى أنه حتى فى الليل لا يجد راحة من عمله .

من أجل لقمة عيش يملأ بها بطنه ، كالنحلة التى تأكل وهى تعمل[1] .

والتاجر يسافر إلى الدلتا ليحصل على ثمن بضاعته ، ويعمل فوق طاقته ، على حين يقتله البعوض[2] .

وضارب الطوب من طمى النيل ، يقضى حياته بين الماشية ، ملابسه خشنة جامدة (متيبسة) وهو يعمل بقدميه .

ودعنى أعود إلى ذكر البنّاء الذى يشيد الجدران ، فهو غالبا ما يكون مريضاً ، وملابسه قذرة ، ولا يغتسل إلا مرة واحدة فحسب .

وهو تعس تعاسة تفوق حد الوصف ، فهو كقطعة حجر فى غرفة طولها عشر أذرع وعرضها ست أذرع .

وأطفاله يضربون ضربا .

والبستانى يحضر أحمالا[3] تنوء بها ذراعاه ورقبته ، وفى الصباح يقوم بإرواء الكرات ، وفى المساء يروى الكروم ، فهو أسوأ حالا من غيره .

---

(١) أى دائب العمل لا يكل ولا يمل كالنحلة .

(٢) المنتشر فى مناقع الدلتا بما يحمله من جراثيم وأمراض .

(٣) من نتاج الحديقة.

أما الفلاح فحسابه مستمر إلى الأبد[١] ، وصوته أعلى من صوت الطائر « أبو »[٢] ، وهو أيضاً يناله الإعياء بما يجل عن الوصف ، وهو يعيش كمن يعيش بين الأسود ، وطالما يعتريه المرض ، وعندما يقفل راجعاً إلى منزله فى المساء ، فإن كثرة المشى تكون قد أنهكت قواه .

أما النساج فى مصنعه فامره أسوأ من أمر النساء[٣] ، ففخذاه تكونان على بطنه[٤] فلا يستطيع استنشاق الهواء . . . . وهو يعطى حارس الباب خبزا[٥] ليمكنه من الخروج فى ضوء النهار »

أما صانع السهام فما أسوأ حاله حينما يخرج إلى الصحراء[٦] فهو يعطى الكثير لحماره ويعطى الكثير لما فى الحقل[٧] ،

---

(١) أى مع مالك الأرض .

(٢) أى أنه يضج دائماً بالشكوى .

(٣) أى اللاتى يجلسن أيضا فى المنازل .

(٤) أى عندما يجلس القرفصاء .

(٥) أى يرشوه .

(٦) يقصد خروجه إلى الصحراء ليصنع رؤوس السهام التى يستعملها من الظران الذى يجده هناك .

(٧) أى لعلف الحمار .

وعندما يعود إلى منزله فى المساء ، فإن السير يكون قد هد قواه.

وحامل البريد ؟ عندما يرحل إلى بلد أجنبى ، يوصى بأمواله لأولاده ، خوفا من الأسود والأسيويين وحينما يعود إلى بيته يكون السير قد قطعه إربا .

ويالسوء حال الإسكاف ، فهو دائم الاستجداء ، وما يعض عليه هو الجلد [1].

والغسال يعمل على شاطئ النهر ، فهو جار قريب للتمساح [2]

وصائد الطيور تراه تعسا حينما يرى الطيور فى السماء ويقول : « ليت عندى شبكة هنا » . ولكن الله لا يهيىء له سبل النجاح .

ودعنى أنتقل بك إلى صائد السمك ، فإن حرفته أسوأ حالا . فهو يعمل فى النهر حيث تكثر التماسيح ، والخوف يعميه.

[وهنا يصل الحكيم إلى بيت القصيد ، وهو تمجيد مهنة الكتابة فيقول :]

انظر فإنه لا توجد مهنة من غير رئيس لها إلا مهنة الكاتب ، فهو رئيس نفسه ، وإن رحلتى تلك التى أقوم بها معك إلى العاصمة تستهدف الخير لك ، وأقوم بها حبا فيك ، فإن يوما تقضيه فى

(١) أى أنه يستخدم أسنانه فى شد سيور النعال التى يصنعها .
(٢) أى أنه يعرض نفسه لخطر التمساح .

المدرسة يعود عليك بالنفع ، وما تعمله فيه يبقى مثل الجبال .

[وتلا ذلك بعض فقرات غير مفهومة ، نجد من بينها الفقرات الآتية :]

« إذا دخلت على رب البيت وكان فى منزله مشغولا بآخر حضر من قبلك ، فاجلس ولا تطلب شيئا »

— « لا تتحدث بكلمات خفية ، ولا تجعل الكلمات النابية تخرج من فمك » :

— « إذا أرسلك عظيم برسالة فانقلها و بلغها كما نطق بها ، ولا تنقص منها شيئا ، ولا تضف إليها جديداً » .

— « اقنع بطعامك : فإذا أشبعتك ثلاثة أرغفة ، وشربت قدرين من الجعة ، ولم تكف لإشباع بطنك ، فقاوم ذلك الشعور » .

— من الخير أن تبتعد عن جمهرة الناس و تستمع وحدك إلى أقوال العظماء . . . . ولتتخذ لنفسك صديقا من أبناء جيلك .

— ما من كاتب ينقصه الزاد الوفير . وإن الآلهة لترعاه و تضعه على رأس هيئة الموظفين.

— انظر فإن هذا الذى أنصحك به هو ما أضعه أمامك وأمام أولاد أولادك .

التعاليم الموجهة
إلى الملك "مرى كارع"

وجدت مسطورة على بردية « لننجراد» التى يرجع عهدها إلى عصر تحتمس الثالث (١٤٧٨ — ١٤٤٧ ق . م) ، وعلى بقايا ورقة بردية أخرى من العصر نفسه محفوظة فى موسكو .

ومع أن النسخة التى وصلت إلينا يرجع عهدها إلى الأسرة الثامنة عشرة إلا أنه ظاهر أن التعاليم ترجع إلى عهد أقدم بكثير. ونحن لا نعلم عن « مرى كارع » أكثر من أنه عاش فى ذلك العصر المضطرب الممتد بين الدولتين القديمة والوسطى ،وأنه كان واحدا من ملوك هيرا قليوبوليس (أهناس) . وكان ملوك الأسرة الحادية عشرة يحكمون فى طيبة فى نفس الوقت الذى يقوم فيه هؤلاء الملوك فى أهناس . وكان أولئك الملوك وهؤلاء (كما نستطيع أن نرى مما هو مذكور فى هذه التعاليم ، وتؤكده أيضاً بعض النقوش التى عثر عليها فى طيبة) يحارب بعضهم بعضاً للاستيلاء على مدينة طينه (أبيدوس) ، فهى بالنسبة لملوك أهناس قلعة باب الجنوب ، وهى بالنسبة لملوك طيبة بوابة الشمال ، وهى

مركز القداسة لدى الجميع ، وإثارة الحرب على أرضها تدنيس لها يحمل وزره من يسعى إليه . ولعل هذا هو مادعا كاتب هذه التعاليم (والد مرى كارع) إلى إظهار ندمه ، وخاصة بعد نهب المقابر وانتهاك حرمتها .

واسم والد « مرى كارع » الذى يسوق خلاصة تجارب حياته لابنه فى هذه التعاليم غير معروف تماما لنا ، وإن كان بعض المؤرخين يظن أنه « نب كاورع » .

ولقد كانت الحرب سجالا بين ملك طيبة وملك أهناس . ويبدو أن الثانى قد استولى على طينه (أبيدوس) وجعل منها بوابة للجنوب وسمح الملك الجنوبى لملك أهناس بأخذ الجرانيت من إقليمه لعمل التماثيل وإن توقف عن دفع الضريبة المعتادة التى تشير إلى ولائه وخضوعه .

على أن ملك أهناس ينصح ابنه دائماً بان يحسن معاملة الجنوبيين .

أما عندما يتحدث عن سكان الشمال الغربى فإنه يذكر أنه أسكتهم وهدأهم حتى حدود الفيوم .

أما عن شرق الدلتا وموجات الآسيويين الرحل فإنه يذكرهم فى احتقار كقوم لا يستقرون فى مكان ويصفهم بأنهم

قوم ليس من السهل هزيمتهم وينصح ابنه بالا يزعج نفسه بهم ، وأنهم يحاربون ولا يغلبون ولكنهم كذلك لا يغلبون وهم يفاجئون دائماً بالحروب .

ورغم ذلك نراه ينصح ابنه بأن يكون على أهبة الاستعداد دائماً مقدماً له المثل القديم : « من رغب فى الأمن وطمع فى السلامة استعد للحرب » .

* * *

على أن هذه التعاليم لا تقتصر على ذكر الحرب والسياسة بأسلوب يدل على فطنة ذلك السياسى المسن فى سياسة البلاد الداخلية والخارجية ، بل إنها تسوق طائفة جليلة القدر من الحكم والأمثال والنصائح ، التى تدل على عقل راجح يجعل قائلها من قادة الفكر فى عصره .

وفوق هذا وذاك فإننا نجد فى غضون هذه التعاليم نظريات دينية لا نجدها فى الكتابات الأخرى التى من هذا النوع . نجد الفكر المصرى القديم وقد اقترب من عقيدة التوحيد وحاول أن يميز بين الإله العظيم الذى لا تراه الأعين وبين صنم المعبد التقليدى الذى كان يظهر فى احتفالات المعبد وتهتف له الجماهير .

[مقدمة الكتاب لا يتبقى منها إلا أجزاء قليلة نستطيع أن نفهم منها أن الأب الذى يوجه الخطاب إلى « مرى كارع » كان هو نفسه ملكا . وفى ثنايا الكتاب فجوات طويلة أيضاً تجعل الترجمة والتفسير أحيانا أمراً صعباً] .

تمجيد صناعة الكلام :

« كن مفتناً فى الكلام ، قديراً فيه ، مالكا لناصيته ، حتى يعلو شأنك ، وينبه ذكرك ، فقوة المرء فى لسانه ، والكلام أقوى من الحرب والقتال[1] .

إن الرجل الفطن لا يهاجمه أهل العلم ، وهو بفطنته وحسن بصيرته يستطيع أن يتجنب المصاعب، فلا يصيبه الضرر، ولا يلحق به الأذى ، والصدق يأتى إليه طائعا مختاراً مصفّى[2] حسب ما جاء فى كلام الأجداد السابقين .

---

(١) ما أشبه ذلك بقولنا إن « القلم أشد بأساً من السيف » .

(٢) حرفيا : « معجونا مختمراً » أى كما يعجن خبز الشعير فى الماء ثم يختمر لتصنع منه الجعة .

ويقصد بذلك أن هذه العملية قد تمت بالنسبة لك ، لأن الحق قد اكتمل شكله ، ووضع أمامك فى الكتابات القديمة .

انسج على منوال أبائك السالفين الذين سبقوك . انظر ! إن كلماتهم لا تزال خالدة تنبض بالحياة فيما خلفوه من كتب .

افتح الكتاب واقرأ ما فيه ، واستفد بعلم أجدادك ، واتبع تعاليمهم ، يصبح المرء عالما حكيما مثلهم .

كن محبا للخير ، ولكن فى حذر ويقظة :

« لا تكن شريرا ، فمن الخير أن تكون رحيما عطوفا ، خلد أثر ذكراك عن طريق حب الناس لك ، فيحمد الناس الله من أجلك . ويمتدح الناس طيبة قلبك ، ويتمنون لك الصحة والعافية .

مجِّد العظماء ، واعمل على سعادة شعبك ، فكم هو جميل أن يعمل المرء من أجل المستقبل . ولكن افتح عينيك ، فقد يمتلىء المرء بالثقة ، ثم يتكشف الأمر عن حسرة لثقة جاءت فى غير موضعها » .

عن كبار الموظفين :

« ارفع من شأن مستشاريك ، واغدق عليهم من الثروة ما يكفيهم ، حتى يقوموا على تنفيذ قوانينك بالعدل ، لأن الرجل الغنى فى بيته لا يميل مع الهوى ولا يتميز ، إذ يكون عنده من المادة

مايغنيه[1] ، ولكن الرجل الفقير (يعنى فى وظيفته) لا يتكلم حسب العدالة ، لأن الرجل الذى يقول « ليت لى » لا يكون محايدا بل ينحاز إلى الشخص الذى يعطيه رشوة .

إن العظيم يُعد عظيما عند ما يكون مستشاروه عظماء[2]، والحاكم القوى من كانت له حاشية .

لا تقل إلا الصدق فى بيتك ، حتى يخشاك الأشراف الذين يسيطرون على البلاد ، والسيد ذو القلب المستقيم يفلح حاله ، لأن داخل البيت (أى القصر) هو الذى يبعث الاحترام فى الخارج[3]»

واجبات الحاكم :

« أقم الحق طوال حياتك على وجه الأرض . وواس الحزين[4]، ولا تظلم الأرملة ، ولا تطرد رجلا مما كان يمتلكه أبوه . ولا تلحق ضررا بالقضاة فيما يتصل بمناصبهم[5] وكن

(١) أى لا يغريه المال ، فلا يقبل رشوة .

(٢) إن العظيم من كان مستشاروه عظماء .

(٣) أى أنك إذا كنت قدوة حسنة داخل قصرك فإن موظفيك سيقتفون أثرك فى جميع أنحاء البلاد .

(٤) حرفيا : «هدِّىء الباكى»

(٥) أى لا تعزلهم من مناصبهم إلا لأسباب بالغة الخطورة ، كما أن من واجب الحاكم أن يكفل للابناء المناصب التى كان يشغلها آباؤهم.

حذرا مدققا حتى لاتظلم أحدا أو تعاقب دون وجه حق.

« لا تقتل ، فالقتل لا يفيد ، ولا يعود عليك باى خير ، بل عاقب بالضرب والسجن ، وبهذا يستقر الأمر فى البلاد حقا ويستتب ، إن الله عليم بالرجل المتمرد الجموح ، والله يجازى عسفه بالدم[١] .

ولا تقتل رجلا تعرف قدره ، وتكون قد تعلمت الكتابة معه[٢] .

إن الروح تأتى إلى المكان الذى تعرفه ، ولا تضل عن الطريق الذى سلكته بالأمس . إن السحر لا يقوى على منعها ، ولكنها تأتى إلى أولئك الذين يعطونها ماء[٣] .

---

(١) أى دع الله ينتقم منه .

(٢) أى كنت تلميذاً معه فى المدرسة وتعلمت معه القراءة وأنت تجودها وتقرأ بصوت عال كالعادة المتبعة فى « الكتاتيب » حتى الآن .

(٣) ربما كان المعنى أن أرواح القتلى يمكن أن تطاردك دائماً ، لأنها تستطيع العودة إلى الطريق الذى سلكته بالأمس فهى تعرفه . ومعروف أن المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن أرواح الموتى تستطيع ان تنتقم من الأحياء والأقارب الذين لا يقدمون القرابين لها ، وذلك عن طريق جلب المرض والشقاء إليهم .

التذكير بالعالم الآخر ويوم الحساب :

« إنك تعلم أن القضاة الذين يحاسبون المذنب لا يرحمون الشقى فى يوم المحاكمة وفى ساعة تنفيذ الحكم[1] . فتسوء العاقبة عندما يتهمك الإله الواحد العاقل[2] .

ولا تعتمد على طول السنين ، فإنهم (أى القضاة) يعتبرون مدة الحياة كأنما هى ساعة واحدة[3] .

إن المرء ليبعث بعد الموت ، وتوضع أعماله بجانبه أكواما[4] وما يبتغيه المرء هو الخلود هناك (أى فى العالم الآخر) .

وإنه لغبى ذلك الذى لا يكترث باليوم الآخر . أما من أتاه بعمل صالح لا خطيئة فيه ، فسيكون هناك مثواه ، يمشى فرحاً مثل الأرباب الخالدين (يعنى الأبرار المتوفين) .

---

(١) ربما كان المقصود أن أرواح القتلى ستتهمك فى المحاكمة التى ستجرى فى العالم الآخر ، أى يوم الحساب .

(٢) يعنى « تحوت » إله الحكمة الذى يشرف على المحاكمة فى يوم الحساب .

(٣) المعنى لا تظن أن يوم الحساب بعيد وأنه عندما يأتى سينسى كل شىء إذ أن قضاة الموتى يذكرون ولا ينسون .

(٤) أى كالأكوام أو الجبال .

معاملة الجيل الجديد :

« ارفع من شأن الجيل الجديد ، إن مجتمعك مليء بالشباب الناشيء الذين هم فى سن العشرين ، فضاعف هذا الجيل الجديد وزد من عدد أتباعك منه ، وزوده بالثروة والحقول والماشية » .

كن عادلا ونشيطا وتقيا :

« لا ترفع من شأن ابن الرجل العظيم على ابن الرجل الوضيع ، بل اتخذ لنفسك الرجل حسب أعماله وكفايته .

احم حدودك ، وحصن قلاعك ، حتى يكون للجيوش شأنها فى الحفاظ على البلاد .

أقم آثارا خالدة للإله ، لأنها تحيي ذكرى اسم بانيها ، وعلى المرء أن يعمل ما فيه صلاح روحه ، بإقامة الشعائر الدينية كل شهر ، ولبس النعال البيضاء ، وزيارة المعبد ، والكشف عن الأسرار المقدسة ، والدخول فى قدس الأقداس ، وأكل الخبز فى المعبد[1] .

املأ موائد القربان ، وقدم الخبز الكثير ، وضاعف عدد

---

(١) أى خبز القربان المقدس .

القرابين الدائمة ، فإن فى ذلك الخير كل الخير لمن يقوم به .
أعل من شان آثارك ونمّها ، ما دمت تمتلك القوة على ذلك ، وإن يوما واحدا (أى من عمل مجيد) قد يؤدى إلى الخلود ، ورب ساعة واحدة تحقق نفعا للمستقبل . إن الله عليم بمن يعمل من أجله[١] » .

[وينتهى هذا الجزء من الرسالة بالكلام عن أعداء مصر ، ويتطرق الحديث ويتشعب إلى الجزء الثانى الذى ننتقل إليه الآن.

الجزء الثانى :

والجزء الثانى من الرسالة الذى يبدأ بعد ذلك يشير إلى طائفة من المسائل السياسية المختلفة كما يشير إلى ما قام به الوالد من أعمال ، وهذا الجزء يبدو غير مكتمل الوضوح بالنسبة إلينا ، لأنه يشير إلى أحداث لا نعلم عنها الكثير ، ومجمل ما نعلمه مما يلى ، ومن بعض المصادر الأخرى أيضا ، هو أن سلطان هذا الملك لم يمتد حتى يشمل مصر كلها ، وإنما كانت توجد بلاد جنوبية لم تكن تخضع لسلطانه .

(١) اى أن الله سيجزيك احسن الجزاء عن كل ما عملته من خير فى حياتك فى سبيل عبادته وإعلاء شأنه .

ويستطرد هذا الملك فى حديثه فيقول : [

« إن الجيل الجديد يظلم نفسه ، وهذا ما تنبأ به الأسلاف ، إن مصر تحارب فى المدافن ، والقبور تنتهك حرمتها[١] .

لا تسىء علاقاتك مع البلد الجنوبى ، أما فيما يتعلق بمدينة « طينه »[٢] فقد استوليت عليها ، ولكنى أنصحك الآن بأن تكون رحيما لينا ، فمن الخير لك أن تنظر إلى المستقبل وتعمل له .

« حسّن علاقتك مع البلد الجنوبى ، فيحضر إليك حملة الأكياس بالهدايا ، لقد فعلت مثلما فعل الأجداد : « وإذا لم يكن لديه من القمح ما يعطيه فقابل الأمر بالرضا ماداموا مستضعفين ، واكتف بخبزك وجعتك »[٣] .

---

(١) كان انتهاك حرمة المقابر يعد فى مصر القديمة من أشنع ما يمكن أن يفرض على الأعداء ، وطالما تعرضت المقابر فى مصر لمثل هذا الاعتداء فى جميع العصور .

(٢) يبدو أنها كانت تعد الحد الجنوبى للمملكة فى هذا الوقت .

(٣) ربما كان المعنى هو النصح بالتغاضى عن القمح المفروض عليهم تقديمه كجزية ، بدلا من إثارتهم من جديد للقتال .

إن الجرانيت الأحمر يأتى إليك هو أيضا دون عائق[١]،
فلا تلجأ إلى الإضرار بمبانى غيرك، بل اقتلع لنفسك أحجاراً
من طره[٢].

لا نشيد مقبرتك مما أخذ من مقابر أخرى هدمت.

اعمل الفكر فيما فعلت، وانسج على منواله، فلا يكون لك
عدو داخل حدودك »

[وما يلى ذلك يتعلق بالأحوال فى الدلتا، التى كان جانبها
الغربى معرضا دائما لغارات الليبيين ـ

وهذه هى الأجزاء التى يستطاع فهمها من النص :].

« ثم قام رجل حاكم فى المدينة [٣] وقد امتلأ قلبه بالأسى
بسبب الدلتا ... ...

---

(١) كانت محاجر الجرانيت في الحمامات وأسوان تقع ضمن نطاق البلد الجنوبى، ومن ثم فقد اضطر من لا تقع هذه المحاجر تحت سلطانه إلى سلب الأحجار من المبانى القديمة ليستعملها فى أغراضه. وهذا يفسر ما سيجىء فى الفقرة التالية.

(٢) محاجر طره كانت مشهورة منذ قديم الزمان بنوع فائق الجودة من الحجر الجيرى الأبيض الجميل، الذى يصلح لعمل النقوش عليه.

(٣) ربما يقصد نفسه، إذ من الجائز أن يكون قد وصل إلى السلطة عن طريق دفاعه عن البلاد ضد غارات الليبيين.

فنشرت السلام فى الغرب جميعه حتى حدود البحيرة[١] ، كما كانت الأمور سيئة على الجانب الشرقى للدلتا ، فقد انقسمت إلى أقاليم ومدن ، وأصبحت سلطة رجل واحد فى يد عشرة ، ولكنهم الآن يقدمون كشفا كاملا بجميع أنواع الضرائب ، ويدفعون الجزية إليك كما لو كانوا عصبة واحدة ، وسوف لايكون بينهم أعداء أشرار ، ولا خوف عليك من ألا يجرى النيل بالفيضان ، فاطمئن بحصولك على حاصلات الدلتا[٢]

وإن الحد الشرقى للمملكة قد أصبح آمنا الآن ضد البدو الآسيويين .

انظر لقد دققت أربطة السفينة وثبتها إلى الشاطىء فى الشرق[٣] وأصبحت الحدود من مدينة « هبنو »[٤] إلى طريق حوروس[٥] عامرة بالمدن ومليئة بقوم من خيرة أهل البلاد حتى

---

(١) ربما يقصد المستنقعات على شاطىء الدلتا .

(٢) يعنى أن الفيضان قد جاء عاليا ، ومن ثم فإن حصيلة الضرائب ستكون وافرة .

(٣) أى وصلت إلى الشرق .

(٤) في مصر الوسطى .

(٥) على أطراف مصر ، عند الفرع البلوزى للنيل ، وقد اعتادت الجيوش المصرية أن تبدا حملاتها من هذا المكان .

يدفعوا أسلحة الآسيويين وغاراتهم .

« إنى أتوق إلى رؤية رجل شجاع[1] يساوينى فى هذا ، ويعمل أكثر مما عملت .

وهذا يقال أيضا فيما يتعلق بالبرابرة ، أولئك الآسيويين التعساء الذين يعيشون فى بلاد سيئة ذات ماء ردىء ، الوصول إليها صعب بسبب تكاثر الشجر ، وطرقها سيئة بسبب الجبال[2]هم قوم لا يقيمون فى مكان واحد ، بل إن أقدامهم فى تجوال دائم. وهم يقاتلون منذ عصر حوروس ولا يقهرون أحدا ، ولكنهم أيضا لا يقهرون ، وهم لا يعلنون أبدا عن يوم القتال ، شأنهم فى ذلك شأن رئيس عصابة اللصوص .

[ثم يستطرد إلى ذكر الأجانب ، فيقول :]

« لقد جعلت الدلتا تضربهم ، وأسرت أهاليهم ، ونهبت ماشيتهم ، فلا تجشم نفسك مشقة فى شأنهم .

[ثم يذكر من بين المدن التى عمرها بالأهالى ، مدينة « كموى »[3] فيقول :]

---

(١) هو مطمئن إلى ان ابنه سيحافظ على ثمرة أعماله ومنشئاته .

(٢) هذه البلاد المليئة بالأشجار والجبال والتى يسكنها قوم من البدو لا بد وان تكون هى فلسطين .

(٣) هى تل آتريب فيما بعد .

« انظر ! إنها فى نقطة مركزية ، وقد حصنت جدرانها للقتال ، وزاد عدد جنودها ، وكثر أهاليها »

[ثم ينتقل إلى ذكر إقليم « دد ـ إسوت » الذى ربما كان يقع على مقربة من منف ، فيقول :]

« إن عدد سكانه عشرة آلاف رجل من المواطنين ، يستمتعون بحق الإعفاء من الضرائب والمكوس ، وكبار الرجال فيه قد تعودوا منذ عصر حوروس على الذهاب إلى العاصمة .

إنه إذا قامت الثورة على حدودك من جهة البلد الجنوبى فإن الأجانب فى الشمال ؟ سيبدأون القتال هم أيضاً . فشيد لذلك مدناً فى الدلتا ، فاسم المرء لا يصغر بما عمله وإنما يعظم ، والمدن الآهلة بالسكان لا يصيبها ضرر .

أقم المدن فإن العدو يفرح إذا ما رأى الضرر يصيب أحداً . وقد قال الملك « أختويس » فى تعاليمه (١) :

---

(١) هـذا الملك هو مؤسس الفرع الملكى الذى حكم فى هراقليوبوليس (أهناسيه) وينتسب إليه ملوك أهناس ، ومن بينهم مؤلف هذه الرسالة .

ويذكر عنه كتاب الأغريق « انه كان افظع من كل من =

« إن من يسكت على إساءة المتبجح يضر بنفسه ضرراً عظيما وأن الله يهاجم من يسىء إلى المعبد »

[ثم تعود الرسالة بعد ذلك فتتحدث عن موضوعات أعم . فتقول :]

« قدم فروض الطاعة والإجلال لله ، ولا تقل إنه ينسى » .

والآثار التى أقامها الملوك الآخرون لاتقربها بضرر ، حتى لا يجىء ملك بعدك فيضر بالآثار التى أقمتها .

وإنه لا يوجد إنسان ليس له عدو.

ينبغى على الحاكم أن يكون محيطا بكل شىء :

« إنه عليم بكل شىء ، ذلك هو حاكم شاطىء النهر ، وليس هناك ملك طائش ، ما دامت تقوم من حوله حاشية صالحة[1] ، وهو فطن حكيم ، منذ اليوم الذى خرج فيه من بطن أمه .

= سبقه ، وأنه قد أساء إلى كل من فى مصر » ، وطبقاً لما جاء فى هذه الفقرة فإنه يكون قد ألف كتاباً فى الحكم والأمثال .

(١) ربما كان يعنى أن معارف بطانة الحاكم هى تحت تصرفه دائماً .

روح التقوى والورع نحو الأسلاف

إن الحكم مهنة شريفة ، إن الحاكم إذا لم يكن له ولد أو أخ يحيي ذكره ويخلده فلا يمنع ذلك من أن يقوم الحاكم بإحياء آثار غيره . فكل حاكم يجب أن يفعل ذلك لمن سبقه إذا أراد لما أقامه هو أن يعنى به الخلف الذى يأتون من بعده (١) .

انظر ! لقد حدث أمر منكر فى عهدى : فإن أقاليم « طينه » قد انتهكت حرمتها ، ولقد حدث هذا حقاً نتيجة لما فعلته ، ولكنى لم أعرف ذلك إلا بعد أن تم عمله (٢) . لقد كان هذا شراً .... فكن على حذر فى هذا الشأن ، فإن الضربة تقابل بمثلها (٣) .

---

(١) ربما يعنى أن الشخص العادى الذى لا خلف له سرعان ما ينسى أما الحكام فحالهم أحسن ، لأن من واجب الخلف ألا يدعوا ذكرى أسلافهم تفنى وتزول .

(٢) يعنى ان جنوده قد قاموا بتخريب الآثار فى المدينة المقدسة دون أن يكون له يد فى ذلك . وهذا هو انتهاك حرمة المقابر الذى أورد ذكره فيما سبق .

(٣) المعنى أن الله يعاقب على مثل هذا العمل السيء .

الإلـه والبشر :

« يمر الجيل من الناس ، والله العليم بالأخلاق قد أخفى نفسه .

اعبد الإله وعظّمه حتى لو اتخذ لنفسه صورة شكلت من الأحجار الكريمة أو من النحاس لأنه كالماء الذى يحل محله الماء[١] ، ولا يرضى النهر لنفسه أن يبقى مختبئاً ، وإنما يكتسح السد ؟ الذى يخفيه[٢] .

« إن الروح تذهب إلى المكان الذى تعرفه ، ولا تضل عن طرقها التى سلكتها فى الأمس » .

ولذلك جمّل بيتك الذى فى الغرب (أى قبرك) ، وهيء مكانك فى الجبانة كرجل عادل قام بعمل صالح ترتاح إليه القلوب .

(١) ربما كان المعنى أنه مادام الإله محتجباً خفياً لا تراه الأعين فإن صورته يجب أن تقدم لها فروض الإجلال والتعظيم ، والصورة هى بالطبع مجرد بديل أو رمز ولكن فيها الكفاية على أى حال .

(٢) ربما كان المعنى أن الإله الذى لا تراه الأعين ويرمز إليه بتمثال من أحجار كريمة أو من نحاس لا يمكن أن يبقى حبيساً فى التمثال وإنما يجد لنفسه منفذا يخرج منه ليظهر قوته .

إن الله ليتقبل فضيلة الرجل الصالح ، وهى أحب إلى قلبه من ثور يقدمه الرجل الظالم .

افعل شيئاً للإله[1] حتى يجازيك بالمثل ؛ بقربان تمتلىء به المائدة ، وبنقش يخلد به اسمك .

والله عليم بكل من يعمل شيئاً من أجله .

إن الله قد رعى الناس ، وهم قطيع الله ، وهو راعيهم . وقد خلق السموات والأرض كما يرغبون ، وخفف من حدة الظمأ للماء ، وجعل الهواء لتحيا به أنوفهم . وإنهم لصور منه خرجت من أعضائه ، وهو يصعد إلى السماء حسب رغبتهم . وقد خلق لهم النبات والماشية والطيور والأسماك غذاء لهم .

ولكنه يعاقب كذلك . فقد قتل أعداءه وعاقب أبناءه بسبب ما دبروه عندما انقلبوا عليه[2] .

وهو قد خلق النور حسب ما يرغبون ، وجعلهم كذلك ينامون وهو يسمعهم عندما يبكون .

---

(١) أى قدم القربان للإله حتى يهيء لك قبراً حسناً .

(٢) فى هذا إشارة إلى أسطورة هلاك البشر ، عندما ثار الناس على إلـه الشمس لأنه كبر وشاخ وبلغ من العمر عتيا .

وجعل لهم حكاماً من الأرحام[١] ، أسناداً تستند إليها ظهور الضعفاء .

وجعل لهم من السحر سلاحاً ، يتقون به الحوادث .

وهو الذى قتل عاتى القلب فيهم ، كما يقتل رجل ابنه أو أخاه .

إن الله عليم بكل اسم[٢] .

[وتنتهى هذه الرسالة بنصيحة عامة ، لا يفهم منها إلا القليل :]

« ليتك تصل إلىّ[٣] دون أن يتهمك أحد .

لا تقتل أحداً ممن يقفون قريبين منك[٤] بعد أن تكون قد امتدحته ، والله يعرفه .

دع الدنيا كلها تحبك[٥]

انظر ! لقد حدثتك بخير ما فى نفسى من أفكار وآراء ، فاعمل حسب ماتقرر أمامك » .

---

(١) أى حكاماً شرعيين .

(٢) أى بكل إنسان ، ومن ثم فإنه يعلم من ينزل عليه العقاب .

(٣) أى في العالم الآخر .

(٤) ربما كان المعنى الا يتخلص من أقاربه عندما يعتلى العرش ، كما جرت العادة بذلك فى الشرق .

(٥) اجعل نفسك محبوباً من العالم أجمع

تعاليم أمنمحات الأول لابنه "سنوسرت"

يبدو أن هذه التعاليم كان لها نصيب كبير من الذيوع والانتشار فى عهد الدولة الحديثة ، فقد عثرنا عليها مكتوبة فى أربع أوراق بردية ، كما وردت أجزاء منها على نحو تسع قطع من اللخاف (الاستراكا)[1].

ومعظم النسخ التى وصلت إلينا تمارين كتبها طلبة المدارس فى عهد الأسرة التاسعة عشرة (حول ١٣٠٠ ق.م) ، ولذلك فهى حافلة بالأخطاء .

---

(١) اللخاف (الاستراكا) هى قطع الجرار المكسورة وشظايا وقطع الأحجار الصغيرة التى كانت تستعمل فى كتابة الوثائق التى لا حاجة لحفظها كالخطابات الخاصة والحسابات وتمارين الخط والرسم ، وفى الأزمنة المتأخرة كانت تستعمل كذلك فى بعض المكاتبات الرسمية كتحرير إيصالات دفع الضرائب، وما إلى ذلك . والسبب فى استعمالها أنها كانت فى متناول اليد فى كل وقت ، وضنا بورق البردى الثمين من أن يستعمل فى مثل هذه الأغراض البسيطة ، وتطلق عليها بالأفرنكية لفظة أستراكون (وتجمع على استراكا) ومعناها بالاغريقية المحار، وهى هذه الوثائق الخفيفة الحمل المكتوبة بالمداد على الفخار أو الحجر.

وفى هذه التعاليم تصوير واضح للحوادث التى دعت الملك «أمنمحات الأول» (أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة : ١٩٥٥ — ١٩٦٥ ق.م) إلى إشراك ابنه «سنوسرت الأول» معه فى الحكم ، وفيها وصف للمؤامرة التى تعرض لها «أمنمحات» فى شيخوخته وواجه فيها الموت ، ونحس فيها بأصداء ذلك القلب المتألم تتردد فى كل فقرة من فقراتها .

تعاليم «أمنمحات» الأول :

« التعاليم التى ألفها جلالة الملك «سحتب إيب رع» ابن رع «أمنمحات» متحدثا برسالة صدق لابنه سيد الجميع » .

إنه يقول :

(١) « انصت إلى ما أقوله لك ، حتى تحسن حكم البلاد ، وتسيطر على العالم ، وتحقق الخير الوفير » .

(٢) احذر أتباعك ، لاتقربهم وأنت بمفردك ، ولا تملأ قلبك بأخ ، ولا تصاحب صديقا ، ولا تثق بأحد من الأتباع تقربه إليك ، فهذه أمور لافائدة فيها ، ولاجدوى منها .

(٣) إن نمت فاسهر على حياتك (حرفيا : قلبك) بنفسك ، إذ ليس للرجل أصدقاء فى يوم الشدة .

لقد أعطيت الفقراء وأطعمت اليتامى وساعدت المحتاجين

(٤) ولكن أولئك الذين أكلوا خبزى هم الذين ثاروا ضدى ، وذلك الذى مددت له يدى هو الذى أساء إلىّ .

وأولئك الذين لبسوا كتانى الرقيق نظروا إلىّ كخيال ، وأولئك الذين تعطروا بعطرى دخلو إلى مخدعى ليغدروا بى .

(٥) إن تماثيلى وصورى قائمة بين الأحياء وأعمالى ذائعة بين الناس[1] ومع ذلك فقد دبروا مؤامرة ضدى لم يسمع بها أحد وصراعا كبيرا لم يره أحد[2]. لقد قاتل الرجال فى مكان الصراع[3] ونسوا ما كان بالأمس[4].

إن حسن الطالع (الحظ) لا يكون من نصيب من لا يعرف مايجب أن يُعرف[5].

(٦) لقد كان ذلك بعد وجبة العشاء ، عندما أرخى الليل سدوله ، وانصرفت إلى مخدعى لأستريح بعض الوقت ، فرقدت

---

(١) أى أنى كنت محترما مبجلا فى البلاد

(٢) أى لم يفش أحد بسره إلى .

(٣) حرفيا : فى المكان الذى يتصارع فيه الثيران .

(٤) أى أعمالى المجيدة .

(٥) لعله يقصد نفسه وقد ظل جاهلا بأمر المؤامرة .

على سريرى من شدة التعب ، وبدأ قلبي يغفل ونمت ، وسرعان ما شعرت بالأسلحة وكأنها تتحرك ، وكأن إنسانا يسال عنى فقمت وكأنى ثعبان الصحراء .

(٧) وقمت من نومى لأقاتل ، وكنت وحيدا بمفردى ووجدت أنها حرب جنود الحرس ولو كنت أسعفت بالسلاح فى يدى لكنت قد شتت شمل الغادرين الجبناء ، ولكن لاشجاعة فى الليل ، ولم يكن فى مقدورى أن أحارب وحدى ، فالشجاعة لا تأتى لمن يؤخذ على غرة ، ولم تكن أنت معى لتحمينى .

(٨) ثم انظر فقد حدثت أمور سيئة، لأنى كنت من غيرك[١]، وكان رجال البلاط لا يعلمون أنى قد نقلت سلطتى إليك ، ولم أعد أجلس معك على العرش[٢]، فدعنى أعمل طبقا لمشورتك ، لأنى لم أعد أخشاهم ، ولكن قلبي لم يفطن إلى تراخى الخدم.

(٩) هل دبر النساء المعركة ؟ وهل تربى القتلة داخل قصرى ؟ وهل خدع الخدم فيما فعلوا[٣] . ولكن النحس لم يمش

---

(١) يخاطب ابنه .

(٢) إشارة إلى إشراك ابنه معه فى العرش .

(٣) يشير إلى محاولة قتله .

فى ركابى منذ ولدت ، كما لم يوجد ندٌّ لى فى أعمال البطولة .

(١٠) لقد شققت طريقى إلى الفنتين[١]،وسرت إلى الدلتا ، ووقفت عند حدود البلاد ، ورأيت مركزها ، ووسعت حدود سلطانى بقوتى وشجاعتى.

(١١) لقد زرعت القمح ، وأحببت الإله «نبر»[٢] وحيانى النيل فى كل واد[٣].ولم يشعر أحد بالجوع أوالعطش فىعهدى، وكانالناس راضين عما فعلت وكلهم يقول«لقد أجيبت كل رغبة».

(١٢) ولقد أذللت الأسود وقهرت التماسيح[٤] وألقيت بالنوبيين تحت أقدامى ، وأبعدت النوبيين الجنوبيين ، وجعلت الآسيويين يفرون كالكلاب[٥].

(١٣) وأقمت لنفسى بيتا مزينا بالذهب ، حلى سقفه باللازورد ، وكانت لجدرانه أسس عميقة ، واتخذت أبوابه من النحاس ، ومتاريسها من البرونز ، صنعت للخلود ، وتتحدى الأبدية .

---

(١) مدينة الحدود الجنوبية .
(٢) إله الغلال .
(٣) أى وصل النيل إلى أبعد الجهات .
(٤) لعله يقصد بهذا المجاز الشعوب الأجنبية :
(٥) كناية عن الطاعة التامة .

نصائح آنى لابنه "جنس حتب"

يعد هذا الكتاب محاولة لتقليد كتب الأدب والحكمة فى الدولتين القديمة والوسطى، وهو يشبهها أيضاً فى أن موضوعه يستهدف النصيحة والموعظة الحسنة ، الموجهة من أب لابنه . وإن كان أسلوبه أوقع فى النفس ، ونطاقه أشمل وأوسع .

والنسخة التى عثرنا عليها من هذا الكتاب محفوظة الآن فى المتحف المصرى ، ويرجع عهدها إلى الأسرة الثانية والعشرين. ويبدو أن التلميذ الذى قام بنسخها ونقلها عن أصل أقدم عهداً لم يفهم الكثير من محتويات الكتاب ، فوقع فى أخطاء عدة فى كتابة معظم الكلمات ، بحيث جاءت جمل بأكملها مضطربة لا يستطاع فهمها ، وبالتالى ترجمتها .

وواقع الأمر أن الكتاب قد كتب فى الأصل باللغة المصرية الحديثة ، وهى تختلف بعض الاختلاف عن اللغة التى تعود عليها هذا التلميذ فى عصره (فى الأسرة الثانية والعشرين) ، وأن فارق الزمن الذى يفصل بين العصرين كان له أثره فى مقدار فهم

هذا التلميذ لما ينقله ، ويفسر الأخطاء الكثيرة التى وقع فيها .

ومما هو جدير بالذكر أن متحف برلين يمتلك أدوات كتابة خاصة بتلميذ عاش فى عهد الأسرة الثانية والعشرين أيضاً ، ومن بينها لوحة كتابة كتب عليها مقدمة هذا الكتاب نفسه . ونظراً إلى أن هذا التلميذ لم يفهم بعض الكلمات فقد وجد أن الواجب يقضى عليه بأن يضيف إلى هذه الكلمات شرحاً باللغة التى كانت مألوفة لديه وشائعة فى عصره .

وهذه هى المقدمة ، كما كتبها هذا التلميذ على لوحه .

« فاتحة تعاليم النصح (أى مقدمة التعاليم الوعظية) التى ألفها الكاتب « آنى » (أى التى قام بتأليفها « آنى ») الذى ينتسب إلى بيت « نفر (كآ) – رع – نزى » .

وهذا الاسم الأخير يذكرنا باسم مشابه لملك من أواخر الدولة القديمة ، ويجعلنا نفترض أن مؤلف الكتاب أراد أن يرجع هذا الحكيم إلى ذلك العهد ، بالرغم من أنه أعطاه ، هو وابنه ، أسماء خاصة بالدولة الحديثة .

(فاتحة التعاليم والنصائح التي ألفها الكاتب) «آني»

يقول لابنه :

« سأحدثك بكل ماهو حسن ، لكى يعيه قلبك ، فاتبع ما أقول ، حتى تكون محمود السيرة ، بعيداً عن كل شر ، ويقول عنك الناس إنك على خلق عظيم ، ولا يقولون « إنك فاسد بليد » وإذا اتبعت ماأقول فإنك ستتجنب كل شر وتبتعد عن مواطن الزلل » .

التبكير فى الزواج والحض عليه :

« اتخذ لنفسك زوجة وأنت صغير حتى تعطيك ابناً تقوم على تربيته وأنت فى شبابك ، وتعيش حتى تراه وقد اشتد وأصبح رجلا — إن السعيد من كثرت ناسه وعياله ، فالكل يوقرونه من أجل أبنائه[1] .

---

(١) يحرص الفلاحون فى القرى حتى الآن على الإكثار من الأولاد والنسل حتى يكون لهم أسرة كبيرة وذرية ، وهم يبكرون فى الزواج بدرجة يستغربها الكثيرون . وهذه العبارات التى يوصى بها « آنى » ابنه هى بألفاظها ومعانيها ما نسمعه كل يوم من أفواه المسنين من الفلاحين يوصون بها أولادهم ليل نهار .

آداب الزيارة :

« لا تكن سليطاً ولا متطفلا ، ولا تدخل بيت غيرك ، وعندما تكون فى منزل أناس آخرين وترى عينك شيئاً فالزم الصمت ولا تبح به لأى شخص كان فى الخارج ، حتى لا تكون لك جريمة كبرى عندما يصل أمره إلى الأسماع »

التحذير من النساء وارتكاب الفاحشة :

« احذر المرأة الأجنبية المجهولة فى بلدتها ، لا توجه إليها لحاظك ، ولا ترتكب الفاحشة معها ، فإنها لجة شاسعة عميقة لا يعرف تيارها .

إن المرأة البعيدة عن زوجها تقول لك كل يوم : « إنى جميلة » وعندما لا يكون هناك رقباء فإنها تقف وتلقى الشباك لتوقعك فى حبائلها .

ما أشدها خطيئة تستحق الموت إذا استمع الإنسان إليها »

تجنب كثرة الكلام :

« لا تكثر من الكلام ، فالصمت خير لك ، ولذلك فلا تتحدث ولا تكن ثرثاراً .

وكن قبل كل شيء حريصاً في كلامك ، إذ أن « هلاك المرء في لسانه. إن جسم الإنسان أوسع من مخزن للغلال ، وهو ملئ بجميع أنواع الإجابات ، فاختر منها إجابة جيدة وقلها ، واحتفظ بالخبيث منها حبيساً في جسمك » .

تقوى الله :

« بيت الله يدنسه الصخب . ادع بقلب ودود ربك ذا الكلمات الخفية ، فينجز ما تطلب ، ويسمع ما تقول ، ويقبل ما تقرب » .

« اعرف قيمة ربك ، واحترم اسمه ، وقدم قربانك له ، ولا تتعد على حقوقه » .

البر بالأبوين[1] :

« قدم الماء لأبيك وأمك اللذين انتقلا إلى قبرهما في الصحراء .

وإياك أن تغفل هذا الواجب ، حتى يعمل لك ابنك بالمثل »

---

(١) يقول الله تعالى في كتابه الكريم « وبالوالدين إحساناً »

التحذير من الخمر :

« لاتفرط بشرب قدر كبير من الجعة ، فأنت إذا تكلمت خرجت عبارة أخرى (غير التى تريدها) من فمك ، وإنك لتسقط فتتهشم أعضاؤك ، ولا يمد إليك أحد يده ، ويقوم رفقاؤك ويقولون : « ألا بعدا لهذا الأحمق » . وإذا جاء من يبحث عنك ليستجوبك فإنهم يجدونك على الأرض ملقى مثل طفل صغير » .

التذكير بالموت :

« أقم لنفسك قبرا يثوى فيه جثمانك فذلك أمر جليل .
لأن رسول الموت سيأتيك ، وإذا أتاك فإنك لن تستطيع أن تقول له : « إنى مازلت صغيرا » ، فإنك لاتعرف متى تحين منيتك ، فالموت يأتى على حين غفلة ، وهو يختطف الطفل الذى يرقد بين ذراعى أمه ، كما يختطف الرجل الذى بلغ من الكبر عتيا » .

اختبر الصديق وتخيره :

« ابتعد عن الرجل الشرير ، ولا تتخذ منه صديقا ، وتخير

إخوانك بعد أن تبلوهم وتتحقق من صدقهم واستقامتهم ، وتجنب من كان سيء السيرة » .

لا تغتر بالمال ، فانه لا يجلب السعادة :

ولا تعتمد على مال غيرك :

« قد تملك قطعة أرض أحيطت بسياج جميل من الأزهار ، وتنمو فيها أشجار الجميز ، وقد تمتلىء يدك بأجمل الأزاهير وأنضرها ، ومع ذلك فقد تكون شقيا ... ... لا تتكل على مال غيرك ، ولا تعتمد على ما يملكه إنسان آخر » .

احترام الغير :

« لا تجلس ، على حين يقف من هو أكبر منك سنا أو أرفع مقاما » .

الأدب ومكانته فى المجتمع :

« إذا كنت راسخا فى الأدب فإن الناس ستعمل بكل ما تقوله لهم » .

« ادرس الأدب (الكتابة) وضعه فى قلبك ، فيطيب كل ما تقول » .

« إذا عين الكاتب فى وظيفة فإنه سيرجع حتما إلى الكتب (حتى يحالفه النجاح) » .

فضل الأم :

« إذا ماترعرعت واتخذت لك زوجة و بيتا ، فتذكر أمك التى ولدتك ثم أنشأتك من جميع الوجوه ، لاتدعها تلومك وترفع أكفها إلى الله فيسمع شكواها .

فهى قد حملتك طويلا تحت القلب عبئا ثقيلا ، و بعد أن انتهت شهورك وولدت حملتك ، وكان ثديها طوال ثلاث سنوات فى فمك ، وهكذا ربتك وأنشأتك دون أن تشمئز من قذارتك ، وبعد أن دخلت المدرسة لكى تأخذ دروسا فى الكتابة بقيت ترعاك فى كل يوم بالخبز والجعة من بيتها .

الرحمة والبر بالناس :

« لا تأكل الخبز فى حين يقف آخر على مقربة منك دون أن تمد يدك إليه بالخبز ، فهناك الغنى وهناك الفقير ، ومن كان فى السنة الماضية غنيا صار فى هـذه السنة ضاربا فى الآفاق (أى فقيرا) .

دوام الحال من المحال :

« إن النهر الذى كان يجرى بالماء فى العام الماضى قد يتحول مجراه هذا العام إلى مكان آخر .
وإن البحار التى كانت تتدفق بالمياه قد تصبح أماكن جافة.

لا تكن شرها :

« لا تكن شرها فى ملء بطنك » .

آداب الزيارة :

« لا تدخل إلى بيت إنسان إلا بعد أن يؤذن لك بدخوله ، ويقول لك صاحبه بفمه «أهلا بك»[1].

حسن معاملة الزوجة :

« لا تجعل من نفسك رئيسا على زوجك فى المنزل ، وبخاصة إذا كانت قديرة فى عملها ، بل لاحظ أعمالها فى صمت ، وتعرف عليها ، وساعدها ، وبذلك تتجنب كل خلاف فى البيت »

(١) قال الله تعالى فى كتابه المنزل : « يا يها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا » الآية .

معاملة الرؤساء

« لا تجب رئيسا وهو غاضب ، بل ابتعد عن طريقه .
وإذا خاطب شخصا بألفاظ جارحة نخاطبه بكلام عذب ، وسكن من ثورته ، فللإجابة المثيرة للنزاع ضرب السياط (لقائلها).
فإذا ماامرت ساعة غضبه ، فإن الرئيس سيتجه إليك ، ويثنى عليك ، لأن كلماتك المهدئة قد استوعبها القلب » .

الحض على العمل والاجتهاد

« كن مجتهدا ، لأن الرجل الذى يظل عاطلا خاملا لا يكون شيئا » .

خاتمة الكتاب

[بعد أن انتهى الحكيم «آني» من توجيه نصائحه إلى ابنه ، بدأ الابن يقول] :
« ليتنى كنت مثلك ، حتى أسير على هدى نصائحك ، ويرقى الابن إلى منصب أبيه . إنك لرجل عالى الهمة ، وإن كلماتك المختارة ، تريح قلبي ، ويستوعبها عقلى ، ويفرح بها فؤادى ».

النصائح والتحذيرات

الموجهة إلى طلبة المدارس

كان الآباء فى مصر القديمة يشرفون على تربية أولادهم فى دور التنشئة ، ويعنون عناية خاصة بأن يرسلوهم إلى المدرسة ليتعلموا ، لأن التعليم عندهم كان هو السبيل الذى يفتح أمامهم باب مناصب الدولة جميعها ، ويحقق لهم أسباب السعادة وسمو الشأن ، ويصل بهم إلى أعلى المراتب .

وأقوالهم فى تقدير العلم والتعليم كثيرة كما رأينا فبينما يقولون فى موضع : « إن الكاتب دون سواه هو الذى يدير أعمال جميع الناس ، أما من يكره العلم فإن الحظ يتخلى عنه » ، إذ يقولون فى موضع آخر عن الجاهل « إنه لا يعرف اسمه أحد ، ومثله مثل الحمار المثقل بما يحمله يسوقه الكاتب (أى الرجل المتعلم المثقف) ويوجهه » .

وكان عندهم الرجل المحظوظ هو « الذى وضع العلم فى قلبه وفضله على كل عمل آخر » ، ولهذا فإن خير نصيحة كان يوجهها الأب لابنه ـ كما قدمنا ـ هى أن « يعمل ليصير كاتباً ، لأنه بذلك يقود جميع الناس » . ويكفى لبيان تقديرهم للعلم وأهله قولهم عن

مهنة الكاتب أنها : « مهنة عظيمة إذ تجلب أدوات كتابته وملفات كتبه البهجة والثراء » .

من أجل هذا فإن هذه النصائح والتحذيرات الموجهة إلى طلبة المدارس يعتبرها كثير من علماء الآثار – بالرغم من قصرها وإيجازها – مشوقة إلى حد كبير ، لأنها تستثير الاهتمام بما تتضمنه من وصف للأحوال الاجتماعية فى العصر الذى كتبت فيه .

على أنه ينبغى على القارىء ألا يغفل الغرض الذى كتبت من أجله ، فإن الصور التى تعرضها هذه النصائح عن سعادة الكاتب وحسن طالعه ، وعن سوء حال أصحاب المهن الأخرى وبؤسهم ، هى دون شك صورة مغرضة ومبالغ فيها إلى حد كبير .

وهذه النصائح والتحذيرات التى نوردها فيما يلى من صفحات ، قد وصلت إلينا ضمن مخطوطات التلاميذ المختلقة من عصر الأسرة التاسعة عشرة .

الحياة فى المدرسة (1)

« إنى أضعك فى المدرسة مع أولاد العظماء ، لـكى أريك ، وأعلمك هذه المهنة العظيمة .

انظر ! إنى أقص عليك كيف يكون حال الـكاتب .
تنبه فى مكانك ، فإن الـكتب قد وضعت أمام زملائك .
ضع يدك على ملابسك ، وانظر إلى نعالك ، وعندما تتسلم واجبك اليومى لا تـكن خاملا (2) . . . . . واقرأ بهمة من الـكتاب ، وعندما تدير الحسبة فى رأسك فى صمت فلا تدع كلمة تسمع .

اكتب بيدك واقرأ بفمك ، واطلب النصح ممن هم أنبه منك .
لا تـكن متوانيا ، ولا تقض يوما فى خمول حتى لا يستولى الغم والحزن على أعضائك وتفهم طرق أستاذك ، واتبع تعاليمه ، وسأكون معك فى كل يوم » .

---

(1) من بردية انسطاسى : ٥ ـ ٢٢ ـ ٦ وما يليها .
(2) ربما كانت تمارين الحساب هى موضوع الفقرات الناقصة .

كن مجتهداً[1]

« أيها الكاتب ، لا تكن خاملا ، وإلا عوقبت بشدة ، ولاتوجه قلبك نحو الملاهي وإلا هلكت . اكتب بيدك ، واقرأ بفمك واستشر من هم أكثر منك علما .

اعمل لوظيفة الحاكم ، حتى تصل إليها عندما تكبر في السن . ما أسعد الكاتب الذي يمهر في مهنته ويصير أستاذا في التربية.

ثابر على عملك كل يوم ، وبهذا تتملك ناصية الكتابة ، ولا تقض يوما في خمول وإلا ضربت . إن أذن الصبي فوق ظهره وهو يسمع عندما يضرب[2].

وجه قلبك نحو سماع كلماتى ، فإنها ستعود عليك بالنفع . إن حيوان « كارى »[3] يتعلم الرقص ، والخيل يكبح جماحها ، والحدأة ؟ توضع في عش ، وجناحا الصقر يربطان[4].

---

(١) من بردية انسطاسي : ٣٠ — ٣ — ٩ وما يليها ، ونفس البردية ٥ — ٨ — ١ وما يليها .

(٢) أى أن الصبي عندما يضرب على ظهره فإن أذنه ستسمع .

(٣) حيوان أثيوبي يرد ذكره كثيراً كمثال لما يمكن الوصول إليه عن طريق التدريب والتعليم .

(٤) المعنى أنه إذا كان المرء يستطيع أن يروض كل هؤلاء ، فإنه يستطيع ذلك معك أيضا .

وثابر على طلب النصيحة ، ولا تتراخ فى ذلك ، ولا تمل الكتب .

ووجه قلبك إلى سماع كلماتى فإنك ستجدها عظيمة الفائدة .

نصائح معلم إلى تلميذه[1]

كتب معلم ونفسه مليئة بالأسف إلى تلميذه ، وقد بلغه أنه يسير وراء نزواته ، يقول :

« لقد بلغنى أنك أهملت دراستك (الكتب) وأنك تتسكع من طريق إلى طريق .

وأن رائحة الجعة (تفوح من فمك).

والجعة قد أبعدت الناس عنك .

وأنها قد ساقت روحك إلى الهلاك .

— إن مثلك[2] مثل المجذاف المحطم فى السفينة الذى لا يتجه إلى أية ناحية .

إنك مثل هيكل من غير إله.

ومثل بيت لا خبز فيه

---

(١) عن بردية انسطاسى ٤ — ١١ — ٨ ومابعدها ، وبردية ساليه ١ — ٩ — ٩ وما بعدها .

(٢) أى عندما تسكر وتنتشى من الشرب .

ـ لقد قابلك الناس وأنت تتسلق أحد الجدران وقد هشمت لوحا .

والناس يهربون منك .

وأنت تضربهم وتحدث بهم جراحا »

ـ ألا تعلم أن الخمر إثم ، فتقسم ألا تقربها وألا تسلم قلبك لإناء الخمر وأن تنسى الشرب .

ـ لقد تعلمت الغناء على الأرغول واستعمال المزمار والعزف على الكنارة والشدو على العود .

ـ لقد تعودت على الجلوس فى البيت ، تحيط بك العذارى والغوانى وتقعد بينهن وتقوم .

ـ وتجلس أمام الغانية وترش بالعطور وتتدلى من جيدك (رقبتك) عقود الأزاهير وتطبل على بطنك

ـ ثم تترنح وتسقط على بطنك وتلطخك الأوساخ. . . .

وضع التلميذ فى القيود (١)

« لقد بلغنى أنك تسير وراء نزواتك ، ولا تتبع نصائحى ، لأن الصمم قد استولى على عقلك.

---

(١) عن ورقة انسطاسى البردية : ٥ ـ ١٧ ـ ٣ وما بعدها .

إن قدمك ستتعثر ، وأنت تسير فى الطريق[1] ، وستضرب
بسوط فرس النهر .

بيد أنى قد رأيت من أمثالك الكثيرين ، ممن كانوا يجلسون
فى المدرسة ويقولون : « إن الكتب لا قيمة لها على الإطلاق ،
ومع ذلك فقد صاروا كتابا ، تذكر أسماؤهم ويكلفون بالمهام .
ذلك بأنك إذا نظرت إلىّ عندما كنت صبيا مثلك ، لوجدتنى
أقضى وقتى والأغلال من حولى تربط أعضائى ، ولبثت كذلك
ثلاثة شهور مسجونا فى المعبد ، على حين كان أبى وأمى وإخوتى
فى الريف ، وعندما رفعت الأغلال والقيود عنى ، وأطلقت يدى
تفوقت على زملائى فى العلم .

فافعل ماقلت لك ، فيصح جسدك وتصبح وتمسى ولا رئيس
عليك » .

تمجيد مهنة « الكتابة » وتفضيلها على سائر المهن

[فى النصائح التالية يمجد الأب مهنة الكتابة والأدب ،
ويذكر ابنه بفضلها وخيرها وجلال قدرها ، ويتناول المهن
الأخرى فيبين له مساوئها وشرورها وهوان شأنها ، وينتهى

(١) أى تتسكع فى الطرق .

بترغيبه فى الكتابة والاشتغال بها ، وينصحه بالبعد عن سائر المهن الأخرى]

لا تكن فلاحا[١]

« لقد بلغنى أنك هجرت الكتابة ، وانهمكت فى الملاهى ، وصممت على العمل فى الحقل، وأدرت ظهرك لكلمات الإله[٢].

ألم تفكر فى حال الفلاح عندما يسجل المحصول[٣]. لقد أكل الدود نصف القمح ، والتهم فرس النهر ماتبقى ، وامتلات الحقول بالفيران ، ونزلت فيها أرجال الجراد ، والماشية تلتهم ما فيها ، والطيور تسرق منها ، فويل للفلاح .

والباقى الذى يوضع فى الجرن ينتظره اللصوص للإجهاز عليه ، بعد أن تكون الآلة المصنوعة من النحاس قد تحطمت ، وزوج الخيل قد مات عند الحرث والدرس .

وها هو الكاتب يرسو على الشاطىء ليسجل المحصول[٤]

(١) عن بردية انسطاسى ٥ ــ ١٥ ــ ٦ وما بعدها وبردية ساليبه ١ ــ ٥ ــ ١١ وما بعدها .

(٢) أي الكتابة الهيروغليفية والنصوص القديمة .

(٣) أى عند ما تخصم منه الضرائب .

(٤) أى ليحصل على الضرائب.

ومعه العمال يحملون عصيا والزنوج الحراس يحملون جريد النخل ويقولون : « احضر القمح » ، « ولا قمح هناك » ، وعندئذ يطرح الفلاح أرضا ويضرب ، ثم يكبل بالقيود ويلقى فى النهر ، وتوثق امرأته كذلك أمامه ، ويوضع أولاده فى الأغلال ، ويتركهم جيرانهم ويفرون ، ليهتموا بأمر غلالهم (١).

بيد أن الكاتب هو الذى يرأس أعمال جميع الناس ، وهو معفى من الضريبة ، لأنه يدفع الجزية من الكتابة ، ولا يكون مستحقا عليه شىء . فافطن إلى ذلك » .

أيها الكاتب : انزع من فكرك أن الجندى أحسن حالا من الكاتب » .

لا تكن فارسا (٢)

« وطن نفسك على أن تكون كاتبا حتى تستطع أن تدير أمور العالم كله .

تعال ودعنى أحدثك عن مهنة تعسة ، هى مهنة ضابط العربات

---

(١) أى ليضعوها فى مكان أمين .

(٢) عن بردية انسطاسى ٣ ــ ٦ ــ ٢ وما بعدها .

إنه يوضع فى الاصطبل[١] بسبب أب والدته[٢] ومعه خمسة عبيد، منهم اثنان خصصا لمساعدته .

وهو يسرع ليحضر الجياد من الاصطبل فى حضرة الملك. وعندما يحصل على جياد طيبة يفرح وينشرح قلبه ويحضر بها إلى مدينته ويطأ أرضها بفخر ، وهو سعيد بذلك ، ولكنه لا يعرف مصيره .

وهو ينفق ثروته التى ورثها عن أب أمه ليحصل على عربة، يكلفه عريشها ٣ دبن والعربة تكلفه ٥ دبن[٣].

وهو يلبس نعاله ويسرع فى ركوبها (أى العربة) وينطلق بها[٤] ، ولكنه يضطر لتركها فى الغابة ، ثم تدمى قدماه بالنعال وتخترق الأشواك قميصه فتمزقه .

---

(١) الخاص برجال عربات الملك ، أى فى ثكناتهم .
(٢) أى تقديرا لأسرته الطيبة .
(٣) الدبن يساوي ٩١ جراما أى ٢٧٣و٤٥٥ جراما، وهو مقدار كبير إذا كان المقصود هنا هى الفضة .
(٤) ربما كان المقصود هنا هو الانطلاق إلى الحرب فى البلاد الأجنبية التى تكثر فيها الجبال وعندئذ لا يستطيع ركوب العربة دائما بل يضطر أخيرا إلى تركها .

وعندما يجتمع الجنود فإنه يعذب عذابا شديدا ، ويضرب على الأرض مائة جلدة » .

لا تكن جنديا ولا كاهنا ولا خبازا[1].

« كن كاتبا فتعفى من السخرة ، وتحمى نفسك من كل عمل (شاق) ، فالكاتب يتخلص من العزق بالفأس ، ويكون فى غنى عن حمل السلة .

إن مهنة الكتابة تخلصك من تحريك المجذاف ، ولا تسبب لك هما ولا نكدا ، ولا يكون لك فيها رؤساء كثيرون.

وإن الرجل إذا خرج من رحم أمه (أى ولد) فسرعان ما يعرض أمام رئيسه ، فيصبح الولد تابعا للجندى ، والشاب مقترعا ، والرجل المكتمل فلاحا ، ورجل المدينة سائسا ، والأعرج بوابا ، وقصير النظر طاعما للماشية.

والكاهن يقف هناك كفلاح ، والكاهن المطهر يعمل فى الترعة[2] . . . . . ويبتل فى النهر ، ولا فرق عنده بين الشتاء والصيف ، سواء أمطرت السماء . أم هبت الريح .

---

(١) عن بردية سالييه ١ ـ ٦ ـ ٩ وما بعدها ، وبردية انسطاسى (مع بعض اختلافات) ٢ ـ ٦ ـ ٧ وما بعدها .

(٢) حتى الكهنة لم يعفوا من السخرة .

والخباز يقف ويخبز ، ويضع الخبز على النار ، ويمد رأسه داخل الفرن على حين يمسك ابنه بقدميه ، فإذا حدث أن انزلق الخباز من يد ابنه فإنه يسقط فى اللهيب .
ولكن الكاتب يدير كل عمل فى هذه البلاد .

كن موظفا [1]

« لا تدع قلبك يهتز كأوراق الشجر أمام الريح ، ولا تجعل قلبك ينهمك فى الملاهى فإنها لا تفيد ولا خير فيها للإنسان .
وعندما يشتغل المرء (بيده)[2] ويكون من نصيبه أن يعمل فى مجلس الثلاثين [3] فإنه يشتغل ولا يجرؤ على النوم ، لأن العمل الشاق يقوم من أمامه . ولا خادم يحضر له الماء ، ولا نساء يصنعن له الخبز ، على حين أن رفاقه [4] يعيشون على حسب ما يبتغون ، والخدم يعملون بدلا منهم[5] ، ولكن الرجل الذى

(١) عن بردية ساليبه ١ ـ ٥ ـ ٤ وما بعدها .
(٢) أى يزاول عملا يدويا .
(٣) هيئة كبار الموظفين .
(٤) الذين كانوا زملاء له فى المدرسة وأصبحوا كتابا .
(٥) أى يحملون عنهم مشقة العمل المنزلى ، وأعمال السخرة فى الجسور . . . الخ

لاعقل له يقف هناك ويشقى ،وعيناه تنظران فى حسد إليهم[١].
من أجل ذلك تبصَّر أيها الشقى ، أيها العنيد الذى لا يسمع
عندما يساق النصح إليه .
أسرِع إلى تلك المهنة[٢] بسرور ،فإنها هى التى تدير مجالس
الثلاثين[٣] ورجال الحاشية الملكية .
وإنى أرجو أن تفطن لذلك »

(١) إلى زملاء المدرسة الذين اصبحوا كتابا .
(٢) أى مهنة الكتابة .
(٣) يبدو أنه كانت توجد عدة مجالس من هذا النوع .

تعاليم أمنموبي لابنه "حورماخن"

هذه التعاليم مكتوبة على ورقة بردية محفوظة الآن في المتحف البريطاني .

وقد ظلت هذه الورقة منذ عام ١٨٨٨ منسية تماما ، إلى أن بدأ علماء الآثار منذ عام ١٩٢٢ فى الاهتمام بأمرها ، فتولوا شرحها وترجمتها والتعليق عليها عدة مرات.

تاريخ البردية

ونحن إذا أردنا تحديد التاريخ الذى ترجع إليه هذه البردية فإننا نجد آراء العلماء قد اختلفت كثيرا . غير أن القول الراجح يرجع عهدها إلى العصر الممتد بين الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين .

شهرة هذه التعاليم

وهذه التعاليم تشبه إلى حد بعيد تعاليم « آنى » من حيث الموضوع واللغة ، ومن حيث الذيوع والانتشار .

فقد بلغت تعاليم «أمنموبى» من الشهرة حداً جعلها تستعمل كـكتاب للمطالعة والتمرين فى المدارس فى عصر الدولة الحديثة ، شأنها فى ذلك شأن تعاليم « آنى » .

من هو امنموبى ولمن كتبت هذه التعاليم ؟

ونحن نعلم من مقدمة هذه التعاليم أن « أمنموبى » هو ابن « كانخت » . وأن «امنموبى» كان له ولد هو « حورماخر » ، وهو الذى كتب له والده هذه التعاليم .

مقدمة التعاليم والغرض منها

وقد بدأت هذه التعاليم بشرح الغرض من وضعها ، وهو درس الحياة ، والإرشاد إلى سبيل الخير والتعريف بقواعد السلوك ، وأدب الحديث والمعاملة ، ولتمكن من يتفهمها ويستوعب ما فيها من الإجابة على كل سؤال يلقى عليه ، والرد على كل أمر يستشار فيه .

محتويات التعاليم وماتتميز به

وتتميز هذه التعاليم بما فيها من قوة الإيمان بالخالق ، والتسليم بما قدره الله للإنسان ، والحض على الفضيلة ، والنهى عن المنكر

والبغى ، واتباع الطرق السليمة التى يرضى عنها الله ، لكى يسعد الإنسان فى حياته بما قدره الله له من رزق ، وما أسبغه الله عليه من نعمة .

والحكيم يقول إن الله يحب الحق ، ويكره الملق والغش ، وإن الإنسان عندما يموت ، يكون بين يدى الله ، آمنا مطمئنا بما قدمه من خير فى حياته .

والتعاليم تفيض بما فيها من قوة و بلاغة ، وحيوية ، ومثل عليا يجب على الإنسان أن يعمل للوصول إليها ، حتى يبارك الله له فى عمله .

وهى تتحدث عن الرزانة والتواضع ، وتنهى عن الاندفاع وحدة الطبع والغضب ، وتوصى الإنسان بالصبر (الصمت) ، كما نتواصى نحن الآن بالصبر قائلين إن « الصبر مفتاح الفرج » و « إن الله مع الصابرين » .

وهى ترسم دستورا عمليا للحياة ، فتشرح واجب الموظف ، وتحثه على العدل والإنصاف والرحمة ، وتحضه على أن يكون أمينا فى عمله ، مخلصا له ، متسامحا مع الفقير ، بعيدا عن الغش والتدليس .

وهى تضع قواعد للسلوك عالية ، فتنصح الإنسان بألا يختلط

إلا بمن هو على شاكلته ، وأن يوقر الكبير ويحترم العظيم فى غير ذلة ولا نفاق ، وأن يكون بشوشا لين العريكة ، حسن الضيافة للغريب ، رحيما يهيىء سبل الراحة للفقير ، وأن يلزم جانب الأدب مع الكبير والصغير ، وأن يحترم الناس ، ويحفظ لسانه عن قول السوء .

فهى نصائح تبصر الإنسان بأحوال الحياة ، وتوقفه على عصارة تجاريب رجل مسن ، خبر الحياة وعرف حلوها ومرها ، وأرادت نفسه الطيبة الخيرة أن تسوق النصح لأعقابه ، فهو صاحب رسالة عليا لا أشك فى أنه قد أبلغها على خير وجه ، فى قوة وصراحة شديدتين .

تفسير العلماء لها

وقد ذهب العلماء فى تفسير هذه التعاليم والتعليق عليها مذاهب شتى ، ومن بينهم عميد علماء الآثار «إرمان» فقد قال بأن هذه التعاليم كانت مصدرا أخذت منه حكم سليمان عليه السلام .

وقال كثير غيره من علماء الألمان بوجود شبه كبير بين هذه التعاليم وسفر الأمثال ، وخرجوا بهذه النتيجة ، وهى : أن سفر الأمثال قد استعار أمثاله من تعاليم «أمنموبى» وعقدوا مقارنة

بين هذه وتلك ، فصلا فصلا ، ومقطوعة مقطوعة .

وعلى أى حال ، فإن العالم الألمانى «جرسمان» يقول بنظرية مؤداها أن المدنية والأدب القديم كانا إرثا مشاعا بين الدول المختلفة .

تعاليم « أمنموبى »

المقدمة

تتضمن مقدمتها تلخيصا لما ورد فيها ، وتعريفا بمحتوياتها ، وحصرا للفوائد التى تهدف إلى تحقيقها ، فهى تتضمن :

« دروسا فى الحيـاة ، وإرشادا إلى الخير ، ومجموعة من القواعد التى تتبع فى معاملة الموظفين ، حتى يتصرف المرء على ضوئها ، فترشده إلى سبل الحياة ، وتكفل له النجاح فى حياته ، والراحة لقلبه ، وتبعده عن الشر ، وتجنبه ألسنة السوء ، وتجعل ذكراه حسنة عاطرة فى أفواه الناس » .

المؤلف

ثم هى تتحدث عن مؤلفها ، فتذكر عنه أنه : « كاتب مصرى ، ماهر فى عمله ، اشتغل ملاحظا للغلال ، ومديرا للمكاييل ، ومشرفا على الأطعمة وأن اسمه : « أمنموبى » بن « كانخت » .

ابنه :

ثم تنتقل إلى التعريف بابنه الذى وجهت إليه هذه التعاليم ، فتذكر عنه أنه : «أصغر أبنائه» وتورد الكثير من ألقابه .

الفصل الأول :

ثم يبدأ الفصل الأول بتفصيل واجب التلميذ .

فعلى التلميذ « أن يفتح أذنيه ، ويستمع إلى ما يقال ، ويتفهمه ، حتى يستقر فى عقله وقلبه ، وتكون له منه ذخيرة فى الحياة فيكون النجاح من نصيبه » .

الفصل الثانى :

ويتضمن نصائح منوعة . تحذر المرء « من أن يسلب فقيرا بائسا ، أو أن يكون شجاعا أمام رجل مهيض الجناح ، وألا يمد يده ليمس رجلا مسنا بسوء » .

الفصل الثالث :

يتناول البحث فى الحزم عند إجابة الخصم . فهو يوصى بألا « يشتبك المرء فى جدال مع أحمق ، وألا يجرحه بالألفاظ ، وأن يعرض عنه ، ويطيل التفكير قبل أن يتكلم . وإذا تكلم الأحمق فى ساعة غضبه ، فيجب على المرء أن يتركه وينصرف من أمامه ، فإن الله سيتولى جزاءه » .

الفصل الرابع :

يتحدث عن الرجل الأحمق والرجل الحليم . يشبه الأول «بشجرة نبتت فى غابة ، تفقد خضرتها فى لحظة ، ويكون مصيرها مرفأ الأخشاب» على حين يشبه الثانى «بشجرة باسقة فى حديقة ، تنمو يانعة ، تقوم أمام سيدها ، وثمرها حلو ، وظلها ظليل ، وينتهى مصيرها فى الحديقة » .

الفصل الخامس :

وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولها ، يحض على « احترام أملاك المعبد » .

وثانيها « يذكر الإنسان بأن الأمور تتقلب كالنيل »

وثالثها «توصى المرء بالرزانة والثقة بالله » .

الفصل السادس :

ويحذر من التعدى على أملاك الغير ، وقد ورد فيه :

« لاتنقل الحدود ، ولا تتعدى عليها ، ولا تطمع فى أملاك غيرك ، ولا تغتصب ظلما فى الحقل ، لأن الظالم تتخرب أجرانه وتنتزع أمتعته من يد أطفاله، وأملاكه تعطى لغيره » .

ومن أبلغ ماورد فيه :

« إن المكيال الذى يعطيكه الله ، خير لك من خمسة آلاف تكسبها بالبغى ، لأنها لا تمكث يوما واحدا فى المخزن ولا فى الجرن ، بل تذهب عندما يأتى عليها الصباح » .

و « الخبز الذى تكسبه و نفسك راضية به ، خير لك من ثروة مع شقاء » .

الفصل السابع :

ويتقسم إلى أربعة أقسام :

الأول منها : يحث على ضرورة التسليم لما قدر على الإنسان.

والثانى : عن الثروة التى لاتدوم .

والثالث : عن مزية القناعة .

والرابع : عن صلاة الرجل القنوع .

وهذه أمثلة مما ورد فيها :

— « لاتفكر فى أمور خارجية ، فكل إنسان مقدر له ساعته » .

— « لاتجهد نفسك فى طلب المزيد عندما تكون قد حصلت (بالفعل) على حاجتك » .

— « الثروة إن أتت لك عن طريق السرقة فإنها لاتبقى ، إذ سرعان ماتطير وتختفى » .

— « لا تئن من الفقر » .

الفصل الثامن :

وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولها : عن أهمية الشهرة الحسنة ، فيقول الحكيم عنها :

« اغرس طيبتك فى جوف الناس[٢] حتى يحييك كل إنسان » .

والثانى : يحض على اجتناب القول الخبيث ، وفى ذلك يقول الحكيم :

« احفظ لسانك سليما من الألفاظ الشائنة ، حتى تكون مفضلا عند الآخرين ، ومحترما فى شيخوختك ، وآمنا من بطش الإله » .

والثالث : عن حفظ السر ، وفى ذلك يقول :

« لا تفضح إنسانا بهتك سره ، وإذا عُرض عليك أمر لتحكم فيه ، فكوّن رأيك فى نفسك ، واجعل الحسن منه على لسانك[١] ، أما القبيح فأخفه فى بطنك » .

---

(١) أى فى أعماق قلوبهم .
(٢) أى تلطف فى إبداء رأيك .

الفصل التاسع :

وهو يحض على تجنب الرجل الأحمق وسبله ، وهذه أمثلة مما ورد فيه :

— « لا تخالط الرجل الأحمق ، ولا تقترب منه لتحادثه ، واحفظ لسانك سليما عندما تجيب على رئيسك ، ولا تذمه ، واحذر الاندفاع فى الإجابة ، فالإنسان يبنى ويهدم بلسانه » .

— والرجل الأحمق :

« يقول قولا مقذعا يستحق عليه الضرب ، وجوابه ملىء بالشر ، وهو يثير النزاع بين الأخوة ، واللهيب يتقد فى جوفه ، فحذار من أن تنضم إلى هذا الرجل » .

الفصل العاشر :

يتحدث عن الإخلاص . وفى ذلك يقول الحكيم :

— « لا تقرىء أحدا السلام رياء ، وأنت تحقد عليه » .

— « لا تتحدث بالإفك والبهتان فإن الكذب يمقته الله ، وأكبر شىء يكرهه الله هو النفاق » .

— « كن ثابتا أمام غيرك من الناس ، لأن الإنسان فى مأمن ، عندما يكون فى يد الله » .

الفصل الحادى عشر :

يوصى بالقناعة بما ناله الإنسان من نصيب فى هذه الدنيا .

وهذه أمثلة مما ورد فيه :

« لاتطمع فى متاع إنسان ، ولا تتطلع (جوعا) لخبزه ، فإن متاع الغير لاخير فيه » .

الفصل الثانى عشر :

يعد تكملة للفصل السابق ، وقد ورد فيه :

— « لاتطمع فى متاع شريف ، وإذا عينك الشريف مديرا لأعماله فتجنب مايخصه حتى يثمر ماتمتلكه » .

— « لاتشارك رجلا أحمق » .

— « لا تخالط رجلا خائنا » .

— « إياك أن تهتك ستر الرجل فى أمر حقير ، لأن ذلك يعوق استخدامه مرة أخرى » .

الفصل الثالث عشر :

يقول فيه الحكيم :

« لا تضر رجلا بجرة قلم على ورقة ، لأن ذلك يمقته الله ،

ولا تشهد زوراً ، ولا تستعمل قلمك فى الباطل ، وإذا وجدت فقيرا عليه دين كبير ، فسامحه فى ثلثيه ، وخذ الثلث ، ونم بعد ذلك نوما عميقا ، فإذا أتى الصباح ستجد كل مافعلته على ألسنة الناس . إن حب الناس ومدحهم للإنسان خير من الثروة التى فى المخازن . وخير للإنسان أن يأكل الخبز وقلبه سعيد ، من الثراء الذى يصحبه النكد » .

الفصل الرابع عشر :

يتحدث عن الكرامة . فيقول الحكيم :

« لاتحترم شخصا بذلة[1] ، ولاتبحث عن مساعدة إنسان ، ولاتقبل الرشوة من أحد ، ولاتخجل أمام أحد ، وتحنى رأسك له ، ولا تلق بنظرك إلى أسفل ، واقرىء الناس السلام » .

الفصل الخامس عشر :

يتحدث عن الكاتب وحاميه الإله «تحوت» إله الكتابة والعلم . فيقول الحكيم :

« لاتغمس قلمك فى المداد لتحدث ضررا لأحد ، فإن عينى الإله «تحوت» تراقبان كل شىء حول الأرض ، وإذا رأى الإله من يسعى فى الشر فإنه يرمى بطعامه إلى اللجة العميقة . والكاتب

(١) أى لاتفرض على نفسك الذلة لأحد .

الذى يحدث الضرر ، لا يكون لابنه أى ذكر» .

الفصل السادس عشر :

يتحدث عن الموازين المغشوشة والمزيفة . يقول الحكيم :
« لاتتلاعب بكفتى الميزان ، ولاتطفف فى الوزن ،ولاتنقص من الكيل ، فإن الإله تحوت يراقب الميزان.
وإذا رأيت إنسانا يغش ، فابتعد عنه . وما فائدة ثوب من نسيج كتانى فاخر ، إذا كان ضلالا أمام الله .
وإذا كانت قشرة من الذهب توضع على سبيكة لتظهرها ذهبا خالصا ، فإنها فى الصباح تنقلب إلى قصدير » .

الفصل السابع عشر :

يتحدث عن كيل الغلال .
يقول الحكيم :
— « لاتسىء فى الكيل ، وأوف المكيال بالدقة الواجبة.
ولا تغش ، لأن الإله يمقت الرجل المدلس » .

الفصل الثامن عشر :

يتحدث عن ترك الهم .
يقول الحكيم :

« لا ترقد فى الليل متخوفا من الغد ، إذ لا يعلم الإنسان ماسيكون عليه الغد .

فلله دائما تدبيره المحكم ، والإنسان دائما تلعب فى رأسه الظنون الطائشة .

إن الكلمات التى يقولها الناس شىء ، و الأشياء التى يفعلها الله شىء آخر[1].

« كن حازما فى قلبك ، و ثابتا فى عقلك ،وحافظ على لسانك، لأن لسان الإنسان هو الذى يسيِّره ، ورب العالمين هو القائد».

الفصل التاسع عشر :

يتحدث عن الكلام فى المحكمة .

يقول الحكيم :

« لا تدخل قاعة المحكمة وتزيف كلامك » .

ولا تتردد فى جوابك ، عندما يكون شهودك قد وقفوا .
قل الصدق أمام القاضى ، ولا تجعل لأحد سلطانا عليك » .

الفصل العشرون :

يتحدث عن الأمانة فى الوظيفة .

---

(١) أنت تريد ، وأنا أريد ، والله يفعل مايريد .

يقول الحكيم :

« لا تفسد رجلا فى قاعة المحكمة .

ولا تظلم صاحب الحق .

ولاتهتم بشخص لأنه يلبس ملابس بيضاء ناصعة .

على حين تترك من يلبس الخرق البالية .

ولا تقبل هدية الرجل القوى .

وتظلم الضعيف من أجله .

لأن العدل هبة عظيمة من الله يعطيها لمن يشاء .

لا تستعمل الوثائق المزيفة .

حتى لاتفسد تدبير الإله .

سلم الأمتعة لأصحابها ، ولا تغتصبها ، وإلا هلكت » .

الفصل الحادى والعشرون :

يتحدث عن فضيلة الصمت .

يقول الحكيم :

« إنك لاتعرف تدابير الله ، ولا تعرف ما يأتى به الغد ،

فاجلس بين يدى الله ، وبالحلم ستتغلب على الجميع .

إن التمساح الصامت يحدث الفزع الشديد فى النفوس .

لا تفض بسرك لإنسان ، ولاتذع أقوالك لآخرين .

إن الرجل الذى يحتفظ بأخباره فى قرارة نفسه خير من الذى يفشيها فيصيبه الضرر » .

الفصل الثانى والعشرون :

يتحدث عن أدب المناقشة .

يقول الحكيم :

« لا تتآمر ضد زميلك فى المحاورة .
بل انظر ماذا يفعل .
ومن جوابه سوف تفهم .
وكن هادئا ، وعندئذ تأتى معرفتك .
ودعه حتى يفرغ مافى قرارة نفسه .
وخفه ، ولكن لاتهمله .
إنك لاتعرف تدابير الله ولا ما يأتى به الغد .
اجلس بين يدى الله[1] » .

الفصل الثالث والعشرين :

يحض على تجنب أكل السحت .

(١) أى اعتمد على الله .

يقول الحكيم :

« لا تأكل الخبز الحرام .

ولا تكن أول من يلوكه بفمه .

وإذا استرحت إلى مضغ الخبز الذى أتى عن طريق الغبن .

فإن ذلك لا يغنيك .

انظر إلى الوعاء الذى أمامك .

واجعله يكفى حاجتك » .

الفصل الرابع والعشرون :

يتحدث عن الأمين .

يقول الحكيم :

« لا تصغ إلى أجوبة شريف فى بيت ثم تنشرها إلى آخر فى الخارج .

ولا تجعل كلامك يذاع فى الخارج .

حتى لا يتألم قلبك .

وقلب الرجل[١] هو منقار الإله « تحوت »[٢] فاحذر أن تهمله » .

الفصل الخامس والعشرون :

يتحدث عن احترام العاهة .

(١) أى ضميره .

(٢) إله الحكمة .

يقول الحكيم :

« لاتسخر من أعمى ، ولاتهزأ من قزم ، ولاتحتقر الرجل الأعرج[١].

ولا تعبس فى وجوههم .

فالإنسان صنع من طين وقش [٢]

والله هو خالقه .

وهو قدير ، يهدم ويبنى كل يوم

ويخلق الألوف بأمره .

ما أسعد الرجل الذى انتقل إلى الغرب[٣] وهو آمن فى يد الله »

الفصل السادس والعشرون :

يتحدث عن معاملة من هم أكبر مقاما فى المجتمع .

يقول الحكيم :

(١) جاء فى القرآن الكريم : «يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم » الآية .

(٢) أى كما يصنع اللبن (الطوب المجفف فى الشمس ــ النئ)

(٣) أى مات .

— « لاتجلس فى بيت الجعة[1] .

ولا تخالط من هو أكبر منك فى المرتبة أو أكبر فى السن .

بل صادق من هو فى مرتبتك .

ولكن إذا رأيت رجلا أعظم منك فى الخارج وله أتباع

وحشم يمشون من ورائه فقدم له الاحترام » .

— مد يد المساعدة للرجل المسن إذا كان قد ثمل من الجعة .

واحترمه كما يحترمه أولاده

فالظهر لا يكسر عندما ينحنى .

والفقر لا يصيب الرجل .

الذى يقول الشىء السار .

ولا يأتى له الغنى .

عندما يكون قوله من القش[2]

أن النوتى الذى يرى من بعد .

لا يتعرض قاربه للغرق »

---

(١) أى الحانة .

(٢) أى القول الهراء .

الفصل السابع والعشرون :

يتحدث عن الخضوع للمسن

يقول الحكيم :

« لا تسب رجلا أكبر منك سنا.

حتى لا يشكوك إلى قرص الشمس عند شروقه .

فإنه مما يؤلم الإله رع[1] أن يسب شاب رجلا مسنا .

فإذا ضربك بيده فى صدرك فالزم السكون .

لأنك إذا حضرت أمامه فى اليوم الثانى .

فإنه سيعطيك خبزا لا حصر له ».

الفصل الثامن والعشرون :

يتحدث عن كرم الأخلاق .

يقول الحكيم :

« لا تسأل عن شخصية أرملة عند ما تقبض عليها فى الحقل.

بل تذرع بالصبر فى إجابتها ولا تمر على غريب بإناء زيت .

دون أن تجعله يتضاعف أمام إخوانك إن الله يحب سعادة المتواضع »

(١) إله الشمس .

الفصل التاسع والعشرون :

يتحدث عن عبور النهر (التعدية) .

يقول الحكيم :

« لا تمنع أناسا من عبور النهر .

إذا كان فى قاربك مكان .

خذ الأجر من الرجل الغنى .

ورحب بمن لا يملك شيئا » .

الفصل الثلاثون :

هو ختام المقال .

وفيه يقول الحكيم .

« تأمل هذه الفصول الثلاثين .

ففيها متعة وتعليم ، يفوقان ما فى الكتب جميعا .

فهى تعلم الجاهل ، وتطهر نفسه من الخبائث .

فاستوعبها وضعها فى قلبك لتكون بها عليما ، ولأمرها عارفا .

فإن الكاتب المدرب فى مهنته يجد نفسه أهلا لأن يكون من رجال البلاط » .

« وهذه هى نهاية المقال » .

خاتمة

هذه هي صفحات من أدب مصر القديم ، أدب الحكمة والموعظة الحسنة ، سقناها كما وردت مسطورة على أوراق البردى ، وقد توالت على هذه الحكم والأمثال والنصائح قرون عدة ، تغيرت فيها دول وقامت دول ، وزالت حضارات وظهرت حضارات ، وبقيت المثل العليا دائما واحدة ، وطرائق الحياة وسبل النجاح فيها واحدة لاتتغير .

ونحن لايسعنا فى العصر الحديث بعد أن قرأنا لحكماء مصر القديمة أقوالهم وتعاليمهم ، إلا أن نعجب بما أوتيه هؤلاء القوم من حكمة لاتفقد قيمتها ولا روعتها مهما توالت الأجيال وتعاقبت القرون .

فتلك هى حكمة مصر ، بل حكمة الشرق ، منبع الحضارة ، ومهبط الوحى . . . . . . والحكمة !

المكتبة الثقافية

تحقق اشتراكية الثقافة

صدر منها للآن :

١ — الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين — للأستاذ عباس محمود العقاد
٢ — الإشتراكية والشيوعية — للأستاذ على أدهم
٣ — الظاهر بيبرس فى القصص الشعبى — للدكتور عبد الحميد يونس
٤ — قصة التطور ... ... للدكتور أنور عبد العليم
٥ — طب وسحر ... ... للدكتور بول غليونجى
٦ — فجر القصة ... ... للأستاذ يحيى حقى
٧ — الشرق الفنان ... ... للدكتور زكى نجيب محمود
٨ — رمضان ... ... للأستاذ حسن عبد الوهاب
٩ — أعلام الصحابة ... ... للأستاذ محمد خالد
١٠ — الشرق والإسلام ... ... للاستاذ عبد الرحمن صدقى
١١ — المريخ ... ... للدكتور جمال الدين والدكتور محمود خيرى
١٢ — فن الشعر ... ... للدكتور محمد مندور

١٣ — الاقتصاد السياسي ... ... للاستاذ احمد عبد الخالق
١٤ — الصحافة المصرية ... ... للدكتور عبد اللطيف حمزه
١٥ — التخطيط القوى ... ... للدكتور إبراهيم حلمى عبد الرحمن
١٦ — اتحادنا فلسفة خلقية ... للدكتور ثروت عكاشة
١٧ — اشتراكية بلدنا ... ... للأستاذ عبد المنعم الصاوى
١٨ — طريق الغد ... ... للأستاذ حسن عباس زكى
١٩ — التشريع الإسلامى واثره في الفقه الغربى } للدكتور محمد يوسف مرسى
٢٠ — العبقرية فى الفن ... ... للدكتور مصطفى سويف
٢١ — قصة الأرض فى إقليم مصر للأستاذ محمد صبيح
٢٢ — قصة الذرة ... ... للدكتور إسماعيل بسيونى هزاع
٢٣ — صلاح الدين الأيوبى بين شعراء عصره وكتابه } للدكتور أحمد أحمد بدوى
٢٤ — الحب الإلهى فى التصوف الإسلامى للدكتور محمد مصطفى حلمى
٢٥ — تاريخ الفلك عند العرب... للدكتور إمام إبراهيم أحمد
٢٦ — صراع البترول فى العالم العربى للدكتور أحمد سويلم العمرى
٢٧ — القومية العربية ... ... للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٢٨ — القانون والحياة ... ... للدكتور عبد الفتاح عبد الباقى
٢٩ — قضية كينيا ... ... للدكتور عبد العزيز كامل
٣٠ — الثورة العرابية ... ... للدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى
٣١ — فنون التصوير المعاصر للأستاذ محمد صدقى الجباخنجى
٣٢ — الرسول فى بيته ... ... للاستاذ عبد الوهاب حمودة
٣٣ — اعلام الصحابة (المجاهدون) للأستاذ محمد خالد

٥٦ — جامع السلطان حسن وماحوله ... للأستاذ حسن عبد الوهاب
٥٧ — الأسرة في المجتمع العربي بين الشريعة الإسلامية والقانون } للأستاذ محمد عبد الفتاح الشهاوى
٥٨ — بلاد النوبة ... ... للدكتور عبد المنعم أبو بكر
٥٩ — غزو الفضاء ... ... للدكتور محمد جمال الدين الفندى
٦٠ — الشعر الشعبي العربي ... ... للدكتور حسين نصار
٦١ — التصوير الإسلامي ومدارسه ... للدكتور جمال محمد محرز
٦٢ — الميكروبات والحياة ... ... للدكتور عبد المحسن صالح
٦٣ — عالم الأفلاك ... ... للدكتور إمام ابراهيم أحمد
٦٤ — انتصار مصر في رشيد ... ... للدكتور عبد العزيز رفاعى
٦٥ — الثورة الاشتراكية (قضايا ومناقشات) للأستاذ أحمد بهاء الدين
٦٦ — الميثاق الوطني (قضايا ومناقشات) للأستاذ لطفى الخولى
٦٧ — عالم الطير في مصر ... ... للأستاذ أحمد محمد عبد الخالق
٦٨ — قصة كوكب ... ... الدكتور محمد يوسف موسى
٦٩ — الفلسفة الإسلامية ... ... الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى
٧٠ — القاهرة القديمة وأحياؤها ... الدكتورة سعاد ماهر
٧١ — الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء } للأستاذ محرم كمال

الثمن قرشان فقط


المكتبة الثقافية

مطابع دار القلم بالقاهرة